مختــــارات
من الشعر المعاصر

١

المختارات الشعرية
وقضايا الوطن العربى



محمود سامى البارودى
أسماعيل صبرى
أحمد شوقى
حافظ إبراهيم
وآخرون

المختارات الشعرية

وقضايا الوطــن العربى

مختارات من الشعر المعاصر

المختارات الشعرية

وقضايا الوطن العربى

◇ البارودى ◇ إسماعيل صبرى

◇ أحمد شوقى ◇ حافظ إبراهيم

تأليف

د. عبد العزيز شرف

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عبده غريب

الكتـــــاب : المختارات الشعرية.. وقضايا الوطن العربى

المـــؤلـــف : د. عبدالعزيز شرف

رقــم الإيــداع : ٩٩/١٧٥٥٥

الترقــيم الدولى : 977-303-319-1

ISBN

تاريخ النشـــر: ٢٠٠٠م

النـــاشـــر : **دار قباء للطباعة و النشر والتوزيع (عبده غريب)**

شركة مساهمة مصرية

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج امون - الدور الأول - شقة ٦

☏ ٢٤٦٢٥٦٢- فاكس / ٢٤٧٤٠٣٨

التــــوزيع : ١٠ شارع كامل صدقى الفجالة (القاهرة)

☏ ٥٩١٧٥٣٢ / ✉ : ١٢٢ (الفجالة)

المـــطـــابـــع : مدينة العاشر من رمضان - المنطقة الصناعية (C1)

☏ ٠١٥/٣٦٢٧٢٧

رئيس مجلس الإدارة / **أحمد غريب**

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الأول

المدخل ..

المختارات الشعرية

المدخل : المختارات الشعرية

يرتكز التفسير الإعلامى للأدب على أساس من الجوهر الاتصالى للعملية الإبداعية فى الشعر والنثر .. وتأسيساً على هذا الفهم، تتحدد عناصر التفسير الإعلامى للأدب فى العناصر التالية: "من - يقول ماذا - لمن - وما تأثير ما يقال؟ وفى أى ظروف؟ ولأى هدف؟ وبأى وسيلة؟". وهى عناصر تتألف منها الوحدة الاتصالية فى العمل الأدبى، فالأديب والرسالة والوسيلة والمستقبل والاستجابة إنما تمثل حلقات متصلة فى سلسلة واحدة.

وإذ نعرض اليوم للتفسير الإعلامى للمختارات الشعرية، نجد أن عنصر "الوسيلة" الاتصالية يتصدر عناصر التفسير الإعلامى للأدب؛ حيث يعنى بدراسة عملية الاتصال وإمكاناتها وخصائصها، سواء كانت بصرية أو سمعية أو بصرية سمعية معاً .. وفقاً لنظرية الإعلام، فقد انتقلت الحضارات من الحضارة السمعية إلى حضارة التدوين، إلى الحضارة الطباعية، ثم حضارات التلغراف والتليفون والسينما والإذاعة والتليفزيون حتى حضارة الآلية الذاتية [١] .

---

(١) د. عبد العزيز شرف: التفسير الإعلامى للأدب، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٤٣.

وتأسيساً على هذا الفهم؛ نذهب إلى أن الحضارة السمعية هى التى جعلت الوزن المقسم بالأسباب والأوتاد والتفاعيل خاصة عربية؛ وهى أيضاً – أى الحضارة السمعية –أبدعت "نظام" الرواية؛ كنظام إتصالى؛ فكان الخطيئة راوية زهير؛ وابنه كعب، وكان زهير راوية أوس بن حجر، وكان كثير راوية جميل، وجميل راوية هدبة بن خشرم، الذى كان – بدوره – راوية الحطيئة. كما وجد "رواة للشعراء لا لشاعر فحسب؛ مثل مخرمة بن نوفل، وعقيل بن أبى طالب، وعبد الله بن العاص. وفى القرن الثانى الهجرى قام رواة اللغة وعلماؤها بجمع الشعر إلى جانب روايته من أمثال أستاذ الرواة: أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ)، ومنهم: المفضل الضبى (ت ١٦٨هـ)، وخلف الأحمر (١٨٠هـ) وحماد الراوية (ت ١٥٥هـ) وأبو زيد الأنصارى، وابن سلام الجمحى (ت ٢٣١هـ)، وأبو سعيد السكرى (ت ٢٧٥هـ) وأبو عمرو الشيبانى (ت ٢١٣هـ) ومحمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ)، وعلى الطوسى (ت حوالى منتصف ق ٣هـ) وابن السكيت، وثعلب الكوفى (ت ٢٩١هـ) وغيرهم من الأعراب الرواة". [١] .

---

(١) د. يوسف نوفل: المكتبة العربية – تاريخها – تراثها – حاضرها، القاهرة، دار الغد العربى، ١٩٨٩، ص٦٠.

ومن الرواة إلى جامعى دواوين الشعراء، وأشعار القبائل؛ والمختارات الشعرية، والمختارات المتنوعة؛ يبين أثر الحضارة الاتصالية فى الانتقال من الحضارة السمعية إلى حضارة التدوين؛ حيث تستخدم وسيلة جديدة من الألف بناء الصوتية؛ واتساع نطاق القراءة؛ وحيث يستجيب الأدب العربى إلى بعض مطالب حضارة التدوين؛ فتتنوع فنون الكتابة وتنشأ الرسائل والخطب؛ وتتنوع اهتمامات العلماء والأدباء؛ وتصبح "**المختارات الشعرية**" فى ضوء هذا الفهم الاتصالى "أكثر إتساعاً وتنوعاً من الديوان؛ كما تصبح أشمل فى تصوير عصرها وبيئتها من الديوان المفرد؛ وهى بذلك تمثل ذوق عصرها، لا ذوق شاعر فحسب"؛ على حد تعبير د. يوسف نوفل، الذى يذكر لنا من هذه المختارات: ما يسمونه "**كتب القصيد**" وهى أربعة: **المفضليات؛ والأصمعيات، وجمهرة أشعار العرب، ومختارات ابن الشجرى**؛ ويذهب مؤرخو الأدب إلى أن "**المفضليات**" للضبى تتقدم ما وصلنا من مختارات شعرية قديمة صنفت فى القرن الثانى الهجرى؛ صنفها المفضل بن محمد بن يعلى الضبى الراوية الكوفى (ت١٦٨)هـ أو (١٧٨هـ) ويبدو مما يرويه ابن النديم أن عنصر الاختيار كان قائماً ذلك أن اسم المجموعة كان (الأشعار المختارة) ثم عرف بنسبته للمفضل.

ونلتقى فى حضارة التدوين بحماسة **أبى تمام** التى تضم أحد عشر باباً هى: (الحماسة – المراثى – الأدب – النسيب – الهجاء – الأضياف – المديح – الصفات – السَّير والنعاس – الملح – مذمّة النساء). كما نلتقى **بحماسة البحترى** (ت ٣٨٤هـــ) **وحماسة ابن الشجرى** (ت ٥٤٢هـــ) ومختاراته (**أو ديوان مختارات الشعر العربى**). كما نلتقى بنماذج أخرى للمختارات فى **حضارة التدوين**؛ مثل "**غرائب التنبيهات فى عجائب التشبيهات**" لعلى بن ظافر الأزدى من أدباء القرن السادس الهجرى؛ى والمختارات الشعرية لمجد الملك أبى الفضل جعفر بن شمس الخلافة الأفضل، ومختارات من أبيات الشعر مع شرح يسمى (**المضنون به على غير أهله**) لعبيد الله بن الكافى العبيدى، **ومنتخب القصيد والأشعار لفضلاء الأعصار** يضم مختارات لشعراء بغداد والجزيرة، **والمختار من دواوين المتنبى والبحترى وأبى تمام** لعبد القاهر الجرجانى، **والتذكرة الشعرية فى الأشعار العربية** لمحمد ابن عبد الرحمن بن عبد المجيد العبيدى والقرن الثامن الهجرى، **والأنوار ومحاسن الأشعار** لأبى الحسن على ابن محمد بن المطهر العدوى المعروف بالشمشاطى [(١)] .

---

(١) المرجع نفسه ، ص ١٠١.

إن الحضارة الإسلامية؛ كانت تقوم على الكلمة المكتوبة؛ فقد أثبت البحث أن بعض الشعر الجاهلى تحدّر إلى العرب عن طريق الكتابة، بالرغم من أن الشعر يعتمد فى الدرجة الأولى على الرواية لا على الكتابة. ففى القرن التاسع للميلاد كان من البداهة عند الناس أن النتاج العلمى والأدبى بجميع فروعه إنما يتم عن طريق تدوينه – فإن المعرفة فى نظر الجاحظ؛ هى المعرفة التى يعتمد حفظها على الكتابة والتدوين. فقد جاء فى كتاب الحيوان : "قال بعضهم: كنت عند بعض العلماء، فكنت أكتب عنه بعضاً وأدع بعضاً. فقال لى: أكتب كل ما تسمع فإن مكان ما تسمع أسود خير من مكانه أبيض"(١).

وقد ألف الشيخ عبد الباسط بن موسى بن محمد العلوى المتوفى فى دمشق سنة ٩٨١هـ = ١٥٧٣م، كتاباً سماه "**العيد فى أدب المفيد والمستفيد**" عالج فيه قضية أسلوب الرواية المدونة للعلم وأساليبها وطرائقها وشروطها، كما ألف ابن جماعة "**تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتكلم**" وهذان الكتابان كما يقول

(١) الجاحظ: كتاب الحيوان جـ١ ص ١٩-٤٨، فرانتز روزنتال: مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى، ترجمة د. أنيس فريحة؛ بيروت، ص ٢٢.

"مرجليوث" "لا مجال للشك فى قيمة كل منهما لمن ينشد الدقة والأمانة" [1] .

والدقة والأمانة؛ من أهم سمات حضارة التدوين بصفة عامة؛ وفى جمع وتدوين المختارات الشعرية بصفة خاصة؛ حيث حلّت العين محل الأذن؛ فى حضارة التدوين؛ كوسيلة للحس يكتسب الإنسان معلوماته عن طريقها؛ حين "تجّمد" الكلام البشرى زمنياً؛ بفضل الحروف الهجائية التى تقوم على بناء الأجزاء أو القطع المجزأة والتى يجب أن توضع مع بعضها البعض فى أشطر وفى ترتيب معين لأبيات القصيدة؛ ليصبح لها معنى. وتقوم الحضارة التدوينية على تعليم القراءة والكتابة – لأنها – كما يذهب التفسير الإعلامى للأدب حين تمد حاسة البصر فى الزمان وفى المكان فإنها تزودها بالقدرة على توحيد الثقافات: ففى الثقافة القبلية تسيطر على التجربة حياة حسية سمعية تكبح القيم المرئية. وحاسة السمع – على خلاف "العين الباردة المحايدة.." – بتعبير "ماكلوهان" – تكون مفرطة الحساسية، دقيقة، وشاملة.

(١) د. عبد العزيز شرف: السابق، ص ٥٣.

ولذلك حرص أصحاب المختارات فى حضارة التدوين؛ ثم فى حضارة الطباعة من بعد، على الدقة؛ والتنوع؛ فى تمثيل مدارس أدبية واتجاهات فنية متعددة، حتى لنقول مع السابقين: إن اختيار الرجل جزء عن عقله ومن ذوقه؛ **وأما المختارات الأدبية تضم عدة أصوات، كل منها يؤدى صوتاً متفرداً، بملامحه وسماته، وكل منها يعالج القضايا الفنية مرتكزاً على خبرات** ذوقية وفنية قد تكون أتيحت له فى بيئة مختلفة عن البيئة التى أتيحت لزملائه فى المختارات، وقد تكون مولودة فى مهاد ثقافة تختلف عن ثقافة غيره. ومن هنا كان للمختارات الأدبية لونها ومذاقها، وبخاصة أنها تنتسب إلى من " نضج ذوقهم وصح حسهم الأدبى " [(١)]، هؤلاء أيضاً هم الذين أفادوا من الحضارة الطباعية فى إحياء التراث المخطوط اولاً؛ ثم فى تقديم مختارات جديدة ثانياً؛ ذلك أن اختراع "جوتنبرج" قد أنتج ثورة الحروف الهجائية؛ فأسرعت الكتب بعملية فك الرموز التى تمثل صلب عملية القراءة، وتعددت النسخ المتطابقة، وساعد المطبوع على نشر الفردية، لأنه شجع – كوسيلة أو أداة شخصية للتعليم على

(١) د. يوسف نوفل: السابق، ص ١٠٠.

المبادرة والاعتماد على الذات.. ولكن المطبوع عزل البشر، فأصبحوا يدرسون وحدهم، ويكتبون وحدهم، وأصبحت لهم وجهات نظر شخصية يعبرون عنها للجمهور الجديد الذى خلقه المطبوع.

ونكتفى هنا بالحديث عن أثر المطبوع على المختارات الشعرية؛ بالاشارة إلى نشر المختارات التى تم صنعها فى حضارة التدوين؛ وأدت الطباعة إلى تيسير تداولها؛ وإلى المختارات التى صنعها أبناء الحضارة الطباعية أنفسهم؛ مفيدين من تراث التدوين؛ ومن نتاج الطباعة معاً.

من هذه المختارات : "**مختارات حسين المرصفى**" فى الجزء الثانى "الوسيلة الأدبية"، **ومختارات حافظ إبراهيم؛ ومختارات من أراجيز العرب وشرحها للسيد توفيق البكرى**، التى صدرت سنة ١٣١٣هـ؛ **ومختارات جورجى زيدان، ومختارات البارودى** الذى اختار قصائد لثلاثين شاعراً من الشعراء العباسيين منذ بشار، **والروائع لشعراء الجيل** لمحمد فهمى؛ **ومختارات العلامة أحمد تيمور**: طرائف من روائع الأدب العربى؛ ومختارات من الشعر الجاهلى **ودواوين الشعراء الستة الجاهليين** شرح وتعليق عبد المتعال الصعيدى، **والمنتخب من أدب العرب** جمع وشرح وأحمد

الاسكندرى وأحمد أمين وعلى الجارم، والبشرى و د. شوقى ضيف، **ومقتطفات من كتب الأدب العربي** جمع واختيار وتعليق د. طه حسين، وعبد السلام هارون وعلى البجاوى، وإبراهيم الأبيارى" [1] وغيرها من المختارات الشعرية والنثرية.

---

(١) المرجع نفسه .

مختارات الزهور

وفى عام ١٩١٤ أصدر الصحفى والكاتب المعروف **أنطون الجميل**؛ المجموعة الشعرية التى نقدمها اليوم باسم "**مختارات الزهور**" انتقى فيها باقة من القصائد التى نشرت فى "**المجلة المصرية**" التى أصدرها **خليل مطران**. وفى مجلة "**الزهور**"[١]؛ وهى المجلة التى أصدرها الجميل شهريا بالاشتراك مع الأديب اللبنانى **أمين تقى الدين**، وكانت هذه المجلة – كما يقول المرحوم إبراهيم عبد القادر المازنى – "مثالاً لحسن الطبع وأناقته، ولست أذكر أنى وقعت فيها على غلطة مطبعية واحدة حتى ولا فى الشكل، وكان لا ينشر الشعر فيها إلا مشكولاً، أما النثر فكان يكتفى فيه بما لا غنى عنه أو بما يكسب المجلة رونقاً؛ وكانت المجلة تمثل نزعته وما يؤثره لنفسه من نهج فى الحياة فما دخلت قط فى جدل ولا أثارت مسألة خلافية ولا تعرضت للمناضلة بين الأدباء والشعراء الأحياء منهم والأموات وكان همها التعريف ونشر المطوى وإذاعة البراعات".

(١) المجموعة الكاملة لمجلة الزهور ، ٤ مجلدات ؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

يقول محمود تيمور عن مجلة "**الزهور**" إنها وثبة جديدة فى صحافة الأدب: أناقة فى الطبع. جد فى الإخراج والتنسيق. انتقاء للرسوم والصور. فإذا المقال يجتذبك بخلابة منظره، قبل أن يمتعك بجذوة خبره. وإذا أنت مفتون بهذا التفنن فى تحلية الروائع العربية".

أصدر أنطون الجميل وأمين تقى الدين هذه المجلة الأدبية باسم "الزهور" عام ١٩١٠؛ واستمرت فى الصدور إلى أن نشبت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤؛ فكف صاحباها عن إصدارها. وعند هذا التاريخ، يتوقف مؤرخو الصحافة المصرية إذ اعتبرت مصر تحت الحماية البريطانية فى الحرب العظمى منذ ٢ نوفمبر عام ١٩١٤ [١] فلم "تعد الصحافة المصرية قادرة على أداء وظيفتها إذ خضعت لرقابة الرقيب، ثم أعلنت الهدنة وأخذ المصرية يطالبون بحقهم فى الحياة الحرة المستقلة"[٢] . أصاب "مجلة الزهور" ما أصاب الصحافة المصرية فى ذلك التوقيت الدالّ؛ بعد أن استمرت فى الصدور خمس سنوات فى عهد عباس الثانى الذى يعتبر "أعظم عهود الصحافة المصرية فى تاريخها إلى الحرب العظمى، لأن مناصرته لها ولرجالها نشأ عنها نشاط أدبى منقطع النظير، فإلى عهده ويرجع سجال الصحف فى

---

(١) الوقائع المصرية - عدد خاص ٢ نوفمبر عام ١٩١٤.

(٢) د. إبراهيم عبده: تطور الصحافة المصرية، القاهرة مكتبة الآداب؛ ١٩٥٢، ص ٢٠٣.

الآداب والاجتماعيات، وفى عصره عرف **شوقى وحافظ** وغيرهما من الشعراء والناثرين، بل من بينهم من كان فى معيته وركابه ومن عاش فى عطفه وبرّه، ونشرت له الصحف أفضل المقالات وأروع القصائد، وفى عصره نشأت فئة من الشباب كان لها فى الميدان الصحفى بعد الحرب أبعد الأثر وهؤلاء من تلامذة صحف عباس الثانى وطلابها المجدين" [(١)] سواء كانوا من المصريين أو من أبناء الشام. من هؤلاء أنطون الجُمّيل الذى ولد فى بيروت سنة ١٨٨٧، وتعلم فى كلية الآباء اليسوعيين وأتقن العربية والفرنسية؛ وعُيّن فى هذه الكلية نفسها مدرساً للبيان العربى، ولم يقتصر جهده على التعليم فقد كان يكتب أيضاً فى "**جريدة البشير**" التى كان يصدرها الآباء اليسوعيون فى ذلك الزمان، وفى سنة ١٩٠٦ نشر كتيباً بعنوان "**البحر المتوسط والتمدن**" وفى العام التالى نزح إلى مصر، ثم حدث الانقلاب العثمانى فى سنة ١٩٠٨، وكان من نتائجه شد أزر المصريين وتقوية "فكرة الحكومة الدستورية فى مصر"، وكان ذلك أمراً طبيعياً للصلات الأدبية والمادية بين التابع والمتبوع، فقد كان الكثيرون يرون مزاج البلدين واحداً فلا غرو أشتد ساعد الدستوريين فى مصر ومضت الصحافة المصرية تطالب بالدستور وامتلأت صفحاتها بالحديث عنه.

---

(١) د. إبراهيم عبده ص ٢٠٢.

ولم تكن الصحافة المصرية حديثة عهد بهذا الوضوع؛ فقد عنيت به منذ رياسة **مصطفى كامل** للحزب الوطني، وقد كان لأثر مقالاتها صدرى فى الجمعية العمومية فى شهر مارس ١٩٠٧ حيث طالبت هذه الهيئة النيابية بإنشاء مجلس نيابي واضطرت الحكومة الفهمية إلى الرد عليها "بأن الوقت لم يحن لتشكيل مجلس نواب يُرجى منه النفع العام الذى ينتظر من المجالس النيابية ولكنها تشتغل الآن فى توسيع اختصاص مجالس المديريات".

كان أثر الانقلاب العثمانى على أنطون الجميل أن أصدر كتاباً بعنوان "أبطال الحرية" سرد فيه قصة الانقلاب وتحدث عن رجاله؛ على النحو الذى يفسر موقف صاحب الزهور؛ فكانت هجرته إلى مصر؛ فى التوقيت الذى قرأ الناس فيه منها قصيدة الشيخ إبراهيم اليازجى التى قال فيها:

تنبّهـــوا واستفيقـــوا أيّهـــا العـــربُ
فقد طمى الخطبُ حتى غاصت الركبُ
فيـــم التعـــلل بالآمـــال تخـــدعكمْ
وأنتمُ بين راحات القنا سلبُ
الله أكـــبر مـــا هـــذا المنـــام فقـــد
شكاكمُ المهدُ واشتاقتكمُ الترب

كم تُظلمون ولستم تشتكون وكمْ
تُستغضبون، فلا يبدو لكـــم غضبُ

وقصيدته السينية التى مطلعها:

بنى العرب فيم الصبر والحال ما يُرى

وغيرها من القصائد الوطنية؛ التى ألجأت مطران نفسه؛ وأضرابه من عشاق الحرية إلى الهجرة من لبنان؛ فى الوقت الذى ازداد لهيب الوطنية فى نفوس الشباب؛ وكان الجيل الجديد من اللبنانيين والسوريين المثقفين يجاهد لتحقيق استقلال بلاده فوجدوا فى مصر والمصريين المثقفين صدراً رحباً منذ أواسط القرن التاسع عشر؛ ومجالاً لنشاطهم الثقافى والصحفى؛ فقد ظهرت وقتئذ "فى مصر نهضة علمية وأدبية جديدة برزت فيها طائفة من أعلام العلم والأدب أتاحوا لإخوانهم السوريين واللبنانيين التعاون معهم فى خدمة هذه النهضة"[(١)].

ويذكر مؤرخو الصحافة المصرية أن الخديو اسماعيل فتح صدر بلاده "للصحفيين الشاميين، فأقبل هؤلاء على اصطناع القلم واتخذوا الصحافة حرفة لهم حتى كان أكثر أصحاب الصحف من أهل الشام

(١) طاهر أحمد الطناحى: حياة مطران، القاهرة، الدار المصرية، ١٩٦٥، ص ٥٢، الممشرى .

والبلاد المجاورة لها كصابونجى والنّحلة، وحموى وشعاع الكوكب، وتقلا والأهرام" [١] .

ويذهب د. إبراهيم عبده رحمه الله إلى أن البيئة المصرية؛والبيئة المصرية وحدها من بلاد السلطنة ؛ هى التى كانت تتمتع بحرية منقطعة النظير لا توجد فى سوريا ولا لبنان، والطبيعة المصرية والتفكير المصرى سمحا بوجود صحافة تُقرأ، لأن النهضة المصرية كانت أوسع مدى مما عليه بلاد الشرق جميعاً، وظروف الحياة المصرية بخديوها وأزماتها واضطراب الأفكار فيها بجديد فى شتى الميادين، كل ذلك جعل مصر تحتمل فى سعة آداباً وصحفاً وسياسة، وقد فرضت شخصيتها المعنوية المتميزة وجودها على الدولة العلية مستمدة هذا الوجود من تاريخ حافل وذكريات يحسب لها فى مقومات الشعوب ألف حساب، وقد ثبت أن الصحف الوطنية الخالصة التى ظهرت بجانب الصحف الشامية فى مصر لم تكن أقل منها نضجاً أو أثراً فى نفوس الناس وتهذيب الرأى العام، وأن مصر "لو لم يكن فى ربوعها الحرية وفى أمرائها الأريحية والتنشيط" كما يقول "لويس شيخو" لما قصدها فردٌ من هنا أو هناك [٢] .

---

(١) د. إبراهيم عبده: تاريخ جريدة الاهرام، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٠، ص ٦٠.

(٢) د. إبراهيم عبده: تطور الصحافة المصرية، السابق ص ٦٩.

هاجر أنطون الجميل إلى مصر عام ١٩٠٧ - كما تقدم - وكان قد سبقه إليها جيل من الأدباء والشعراء والصحفيين؛ فى مقدمتهم **خليل مطران** الذى نلتقى بقلمه فى "مختارات الزهور" وتحليله النقدى للشعراء الذين تتضمن قصائد لهم؛ وكان قد إلى مصر ١٨٩٢م؛ وكانت الإسكندرية أول ثغر نزل به منذ عامين بعد أن بارح بيروت مهاجراً ، فى طريقه إلى باريس؛ التى ما لبث أن بارحها قاصداً مصر؛ ليوجه الجيل الجديد من أبناء الشام فى مصر؛ ويكون له شأنه فى الحياة الأدبية؛ ويطلق عليه "شاعر القطرين"؛ وليلقى صاحب "الزهور" و "مختارات الزهور" بعد سنوات؛ كما ينعى سليم تقلا صاحب "الأهرام"؛ فى أغسطس ١٨٩٢ بقوله:

أأبقتْ لنا الدّنيا بقيّة أدمعٍ   نُزودها صبرَ الفؤاد المُفجَّعِ
وهل أطلعت شمساً علينا صفت لنا   بلا كدر يغشى سناها كبُرقعِ
وأى سحاب قطَّعتهُ فلم تسلْ   سحابــةُ دمــعٍ من فراد مقطّعِ

من هذه الصورة ؛ يتضح لنا أهمية إصدار المختارات الشعرية فى العصر الحديث ولقد حرصت " دار قباء للطباعه والنشر " على أن تقدم للشباب خاصة هذا النوع من المختارات الشعرية فى ثوب قشيب من الطباعة والإخراج والتشكيل ؛ لتحقيقه التواصل بين

القارئ العربي ورصيده الشعرى فى العصر الحديث . وتبدأ سلسلة المختارات من الشعر المعاصر ، بتقديم مختارات من شعر : محمود سامى البارودى - أحمد شوقى - إسماعيل صبرى - حافظ إبراهيم- خليل مطران - أحمد محرم - على الدين يكن - حفنى ناصف ؛ وتواصل إصدراتها لتغطى شعراء القرن العشرين ؛ وتقدم من أبرز المعاصرين مختارات من شعر نزار قبانى ، والسياب ؛ وصلاح عبد الصبور ؛ وعبد الوهاب البياتى ، وغيرهم . والله الموفق .

مختارات الزهور

مُقدّمة

هذه مجموعةٌ شعرية لأمراء الشعر فى هذا العصر؛ واسمها يدلُّ على أن جُلَّ ما ورد فيها مختارٌ مما نشرتهُ مجلَّة الزهور، ولم تنشر الزهور فى سنواتها الأربع الماضية إلاَّ أطيبَ الشعر وأنفسهُ.

نهض الشعرُ فى هذا العصر نهضةً سمَتْ به حتى طاولَ فى الفصاحة والبلاغة الذروةَ العليا التى تسنَّمها الشعر العربىّ فى عصوره الذهبية؛ بل بزَّ تلك العصورَ نفسها تفنناً فى المعانى، وابتكاراً فى المواضيع. ولعلَّ فى هذه المجموعة دليلاً على ذلك.

ولقد دوَّن كثيرون من شعراء اليوم شعرهَم فى دواوين مشهورة، وأهملهُ غيرهُم مشتتاً فى الصحف والمجلاَّت. لذلك، كانت الحاجة ماسةً إلى كتاب يجمعُ مختارات من نظم الشعراءِ المعاصرين، أسوةً بما جُمع من مختارات الشعراءِ الأقدمين.

ولئن كانت مجلة الزهور قد أقدمت على تأليف هذه المجموعة، فلأنَّ الشعراء أنفسهم سهَّلوا عليها هذا العمل بأن اختاروها ملتقىً لنفثات أقلامهم، ومجلىً لعرائس أفكارِهم.

مصر القاهرة فى ٢٥ مارس (أذار) سنة ١٩١٤

محمود سامى البارودى

.. أما شعره فهو بجملته صناعة لا تنافس بقديم أو حديث مع ابتكار قليل وإحساس فياض.

اختار له أحسن أساليب العرب وأفصح ألفاظهم وتغنى بها على وحى نفسه – ونفسه جارية النغمة وعاشقة الايقاع – فافتنَّ حتى أنسى الفنّ، وجوَّد حتى أذهل عن المعنى.

ذلك كان مذهبه فى الشعر وتلك غايته منه. ولا ننسى له فضلاً جديراً بالذكر الخاص وهو أنه أول شعراء البعثة الحديثة بمعنى أنه رد الديباجة إلى بهائها وصفائها القديمين، وما أبزّ قريضه لقريض جيله، فإنك لتجد الواحدة من قصائده ذاهبة صعداً إلى عهد ارقى أزمنة العرب فهى كالجبال الشامخة وحولها القصائد الأخر كالأركان المقدمة من حجارة إطلال بلا اختيار ولا نسق ولا هندام.

الخلاصة أن المرحوم البارودى كان فى الطبقة الأولى بين العرب وكان قلبه كلفاً بالنغمة وذهنه منصرفاً إلى الصناعة كما يدل

على ذلك منظومه وكما يشير إليه اختياره من أقوال المتفوقين، فإنه لم ينتق منها إلا كلّ ما حسن لفظاً ومعنى أو حسن لفظاً. وأهمل ما حسن بمعناه دون مبناه.

فشعره إنما هو شعر الصناعة والإيقاع؟

خليل مطران

مجلة الزهور ١٩١٤

الأمير شكيب إرسلان

حضرى المعنى، بدوى اللفظ، يحب الجزالة حتى يستسهل الوعورة. فإذا عرضت له رقة وألان لها لفظه فتلك زهرات ندية ملية شديدة الريّا ساطعة البهاء كزهرات الجبل.

نبغ منذ طفولته فى الشعر وكان أبكر الفتيان فى نشر ديوان له، وجاء ديوانه فى وقته آية.

غير أنه لم يلبث أن ترك الشعر وانصرف إلى الترسل فحبس فيه ما أوتيه من العبقرية فهو الآن فى مذهبى إمام المترسلين.

على أنه قد يدعوه داع من النفس أو من الطوارىء فينظم. كما ينثر فياض الفكر غير تعب، لكن نظمه يحمل فى عهده الآخر أثراً من نثره.

خليل مطران

المراسلات السامية

تكاتب بها هذان الأديبان الكبيران أيام كان المرحوم البارودى منفياً فى جزيرة سيلان مع زعماء الثورة العربية الشهيرة. وكان سبب هذه المكاتبة أن الأمير شكيباً استشهد فى بعض كتاباته أولاً وثانياً بأبيات للبارودى على غير معرفة شخصية سابقة، فكتب محمود سامى باشا إلى الأمير بالمقطوعة الآتية، قال:

أَشَدتَ بذكرى بادئاً ومُعقّباً ... وأَمسكتُ لم أَهمسْ ولم أَتكلمِ
وما ذاك ضنًّا بالودادِ على امرىءٍ ... حبانى به، لكن تهيّبتُ مَقدَمى
فأمّا وقد حقّ الجزاءُ فلم أكنْ ... لأَنطقَ الاَّ بالثناء المُنمنَمِ
فكيف أذودُ الفضلَ عن مستقَرهِ ... وأنكرُ ضوءَ الشمسِ بعدَ توسّمِ
وأنت الذى نوّهتَ باسمى ورشّتنى ... بقولٍ سرى عنّى قناعَ التوهمِ
لكَ السبقُ دونى فى الفضيلةِ فاشتَمِل ... بُحليَتها، فالفضلُ للمتقدّمِ
ودونكها يا ابنَ الكرامِ حبيرةً ... من النظمِ سدّاها بمدحِ العلا فمى

فأجابهُ الأمير:

لـكَ اللهُ مـن عـانٍ بشـكرٍ منمـنَمٍ لـتقدير حـقٍّ مـن عـلاكَ محـتَّمِ
وشـهمٍ أبـيِّ الـنفسِ أضـحى يَـرى يـداً تَذَكُّـرَ فضـلٍ أو جميـلٍ لمـنعمِ
رأى كَـرَماً مـنّى تذكُّـرَ قـولـه فـدَلَّ عـلى أعـلى خـلالاً وأكـرَمِ
ولـو كـانَ يـدرى فاضـلٌ قـدرَ نفسـه رأى ذكـرهُ فرضـاً عـلى كـل مُسـلمِ
أيعجـبُ مـن تـنويهِ مثـلى بمثـله؟ لعمرى الذى قـد شـقَّ فى شعره فمى
ومهمـا يكـنْ مِـن أعجـمٍ فبفضـله يُـرى ثقَفيّـا فـى الـورى كـلُّ أعجـمِ
إذا مَطـرَ الغيـثُ الـرياضَ بوابـلٍ فـأىُّ يـدٍ لـلطائرِ المترنـمِ؟
إذا مـا تَصـبَّت بـالعميد صـباحةٌ بوجـه، فمـا فضـلُ العميـد المـتَّيمِ؟
وهـل يُـنكرُ الاحسـانَ إلاَّ لـئامةٌ ويـنكرُ حسـناً غـيرُ مَن طرفهُ عَمى؟
وهـل فـى شـهودِ الشـمسِ أدنـى مـزيَّة وقـد جـاء ضَـوءُ الشـمسِ لم يَكـتَّمِ؟
رُويـدَكَ لا تُكـثْر لدهـرك تهمـةً ولا تيأسـنْ مـن أهلـه بالـتوهُّمِ
فمـا زالَ مـن يـدرى الجميـلَ ولم يكـن لـتأخذهُ فـى الحـقِ لومـةُ لـوَّمِ
وأنـت الـذى لـو أنصفَ الدهـرُ لم يكـن لغـيرِكَ فـى العـلياء صـدرُ الـتَقدُّمِ

جَمعتَ العُلى مَن تلْدِها وطريفِها ... فجاءتْ كعقدٍ فى ثناك مُنظَّمِ
غدَت خطَّتى إمَّا يراعٌ ومِخذَمٌ ... وأنك قطْبٌ فى يراعٍ ومخذمِ
ولم أرَ كفًا مثلَ كفِّكَ أحسنت ... إلى المجدِ إرعافَ المدادِ مع الدَّمِ
جمعتَهما جمعَ القديرِ بكفِّه ... إلى محتَدٍ سامٍ إلى المجدِ ينتمى
ولو كان يَرقى المرءُ ما يستحقهُ ... إذن لبلغتَ النيّراتِ بسلّمِ
وأنتَ الذى يا ابنَ الكرامِ أعدتَها ... لأفصَحَ مِن عهدِ النواسى ومسلمِ
وأنشرتَ مَيتَ الشعرِ بعد مصيرِه ... لأعظمَ نشْراً من رُفاتٍ وأعظمِ
وأشهدُ ما فى الناسِ من متأخِّرٍ ... يدانيكَ فيه، لا ! ولا متقدِّمِ
ولو شعراءُ الدَّهرِ تُعرَضُ جُملةً ... لننجدهم من كلِّ حيٍّ ومُتهِمِ
لأبصرتُ شخصَ البحترى منك بحترًا ... وخُلْقَ أبى تمَّامَ غيرَ متمَّمِ
لك الآبداتُ الآنساتُ التى نأتْ ... وأنست عكاظَ الشعرِ بل كلَّ موسمِ
لكم أسهرَتْ جفنَ الرُّواةِ وخالفت ... حظوظَكَ منها شُرَّدٌ غيرُ نوَّمِ
شُغفتُ بها طفلاً فأروى بديعَها ... ولم أروِ من وجدى بها نارَ مضرمِ
ولا عَجبٌ أنْ أحنَّ صبابةً ... فيسرى الهوى بالقول للمتكلِّمِ

أفــى كــلِّ يــومٍ فيــكَ وجــدٌ كأنَّــهُ ... طــوى جانحــاً مــنّى عــلى نــارِ ميســمِ
أُحَمّــلُ ريــحَ الهــندِ كــلَّ تحيّــةٍ ... فكــم مــن صبــاً مــنها عــليك مســلّمِ
وقــد طالمــا حدّثــتُ نفســى، وعاقــنى ... تــردُّدُها مــا بــين أقــدمُ وأحجــمِ
حــلفتُ بمــا بــين الحطيــمِ وزمــزمٍ ... وبالرّوضــةِ الزّهــرا أليّــةَ مُقســمِ
لألفيــتُ عــندى دوسَ مشــتّجرِ القــنا ... وخوضــىَ فــى حــوضٍ من الطعــنِ مفعَمِ
أقــلُّ بقلــبى فــى المواقــفِ هيــبةً ... وأهــونُ مــن ذاكَ المقــامِ المعظّــمِ
وَهــبْ أنــنى بــازٌ، قــدِ انقــضَّ، أشــهبٌ ... فهــل يطمــع البــازى بــلُقيانِ ضــيغمٍ؟
ولكــنَّ لى مــن عفــوِ مــولاىَ ســاتراً ... فهــأنذا مــنهُ بــهِ بــتُّ أحــتمى
أمحمــودَ ســامى، إن يــكُ الدّهــرُ خائــناً ... وطــالَ عــليكَ الزجــرُ طائــرَ أشــأَمِ
فمــا زالــتِ الأيــامُ بُؤســاً وأنعمــاً ... وحــظُّ الشــقا بــالمكثِ حــظَّ التــنعُّمِ
ولــولا الصــدى مــا طــابَ وردٌ ولا حــلا ... لــكَ الشّــهدُ الاَّ مِــن مــرارةِ عَــلقمِ
عســى تعــتبُ الأقــدارُ والهــمُّ ينجــلى ... وينصــاحُ صبحُ السعدِ فــى ذيــلِ مُظــلمِ
وأهديــك فــى ذاكَ المقــامِ تهانــئاً ... حــبيرةَ مُســدٍ فــى ثــناكَ ومُــلحمِ

ثم كتب محمود سامى باشا إلى الأمير شكيب بهذه القصيدة:

أدِّى الرسالةَ يا عُصفورةَ الوادى ... وباكرى الحىَّ من قَولى بإنشادِ
ترقَّبى سِنَةَ الحُرَّاسِ وانطلقى ... بين الخمائلِ فى لبنانَ وارتادى
لعلَّ نغمةَ ودٍّ منكِ شائقةً ... تهزُّ عطفَ شكيبٍ كوكبِ النادى
هوَ الهُمامُ الذى أحيا بمنطقه ... لسانَ قومٍ أجادُوا النُّطقَ بالضادِ
تلقَى به أحنفَ الأخلاقِ مُنتدِياً ... وفى الكريهةِ عَمْراً وابنَ شدَّادِ
أخى وداداً وحسبى أنَّهُ نَسَبٌ ... خالى الصحيفةِ من غِلٍّ وأحقادِ
أفادَنى أدباً من منطقٍ شهدَتْ ... بفضلِه الناسُ من قارٍ ومن بادِ
عذبُ الشريعةِ لو أن السَّحابَ همى ... بمثله لم يدَعْ فى الأرضِ من صادِ
سرتْ بقلبَى منهُ نشوةٌ مَلكتْ ... بحُسنها مسمَعى عن نغمةِ الشادى
يا ابنَ الكرامِ، عدتْنى منكَ عاديةٌ ... كادتْ تسدُّ على عينى بأَسدادِ
فاعذرْ أخاكَ، فلولا ما به لجرى ... فى حلبة الشكر جرىَ السابقِ العادى
وهاكها تحفةً منى، وإن صغرتْ، ... فالدُّر وهو صغيرٌ حلىُ أجيادِ

فأجابه الأمير شكيب:

هل تعلمُ العيسُ إذ يحدو بها الحادي ... أنَّ السُّرى فوقَ أضلاعٍ وأكبادِ
وهل ظعائنُ ذاك الركْب عالمةٌ ... أنَّ النوى بينَ أرواحٍ وأجسادِ
تحمَّلوا ففؤادي منذُ بَينِهمِ ... في إثرِهمِ نضوُ تأويبٍ وإسآدِ
يرتادُ منزلَهم في كلِّ قاصيةٍ ... وحَجْبُهُ، لو دَرى أحرى بمُرتادِ
بين الجوانحِ ما لو أنتَ جائبُهُ ... أغناكَ عن لفِّ أغوارٍ بأنجادِ
وفي الفؤادِ، كشطرِ الكفِّ، باديةٌ ... في جنبهاتيهُ موسى ليس بالبادي
كم بتُّ أنشدُ أحبابي وأنشدُهم ... في الهند، يا شدَّ ما أبعدتُ إنشادي
ولو أناجي ضميري كنتُ مُسمعَهم ... قَولي كأنَّهمُ في الغيبِ أشهادي
مَنْ كانَ دونَ مرامي العيس منزعُهُ ... فلي هوىً دون أمواجٍ وأزبادِ
دون الخضارمِ إن ضلَّ الحبيبُ سُرى ... فإنَّ وجدِيَ نعمَ القائفُ الهادي
هوى بأروعَ، لو أنَّ الزمانَ درى ... لما أحلَّ سواهُ الصدرَ بالنادي
سامي الأرومة في أعراقه نَسَبٌ ... في المجدِ لا يشتكي من ضعف إسنادِ
أرقُّ من شمأَلِ الوادي شمائلُهُ ... وعندَ شدِّ الليالي صخرةُ الوادي

مـن مَعشـرٍ لويَقيـسُ الـناسُ شـأوَهُم ... إلى العُـلى افـتقروا فيـه لأرصـادِ
يـا مَـنْ لـنا ردُّهُ مـن فـائت عـوَضٌ ... يُمحَـى بـهِ وزرُ أحقـابٍ وآمـادِ
إن يحجـبوكَ فمـا ضـرَّ الـنجومَ دجـىً ... ولا زرى السـيفَ يومـاً طـيُّ أغمـادِ
لا بـأسَ إن طـالَ نجـزُ السـعد موعـدَهُ ... فـأعذبُ المـاء شُـرباً فـى فـمِ الصـادى
عسـى ليـاليكَ قـد سُـلَّتْ ضَـغينتَها ... وقـد صَـفتْ كأسُـها من سـؤرِ أحقـادِ
واسـتأنفَ الدهـرُ سـلماً لا يكدِّرُهـا ... فالدهـرُ قـد يـرتدى حـالاتِ أضـدادِ
لـو كـان يُسـعدُ قـومٌ قـدرَ فضـلِهمِ ... مـا لاقَ مثـلكَ أن يحظـى بإسـعادِ

وكتب محمود سامى إلى الأمير من جزيرة سيلان:

ردِّى الـتحيَّةَ يـا مَهـاةَ الأجـرَعِ ... وصِـلى بحَبـلكِ حَـبلَ مَـنْ لَم يقطـعَ
وتـرفَّقى بميـتيَّمٍ عَـلقَتْ بـهِ ... نـارُ الصـبابة فهـوَ ذاكـى الأضـلُعِ
طَـربِ الفـؤادِ يكـادُ يحمـلُهُ الهـوى ... شـوقاً إليـكِ مـع الـبُروقِ الـلمَّعِ
لا يِسـتَنيمُ إلى العـزاءِ، ولا يَـرى ... حَقّـاً لصـبوَته إذا لم يَجـزَعِ
ضَـمنَت جوانحُـهُ إليـكِ رسـالةً ... عـنوانُها فـى الخـدِّ حمـرُ الأدمُـعِ

فمتى يَبوحُ بما أجنَّ ضميره ... أن كنت عنهُ بنجوةٍ لم تَسمعِ
أصبحتُ بعدكِ فى دياجرِ غُربةٍ ... ما للصَّباحِ بليلها من مَطلعِ
لا يهتدى فيها لرحلىَ طارقٌ ... إلاَّ بأنةِ قلبىَ المتوجِّعِ
أَرعى الكواكبَ فى السماء كأنَّ لى ... عندَ النُّجومِ رهينةً لم تُدفَعِ
زُهرٌ تألَّقُ فى السماءِ كأنَّها ... حَبَبٌ تَردَّدَ فى غديرٍ مُترعِ
وكأَنَّها حولَ المجرِّ حمائمٌ ... بيضٌ عكفنَ على جوانبِ مَشرعِ
وترى الثُّريَّا فى السماءِ كأنَّما ... حَلَقاتُ قرطٍ بالجمانِ مُرصَّعِ
بيضاءَ ناصعةً كبيضِ نعامةٍ ... فى جَوفِ ادحىٍّ بأرضٍ بَلقعِ
وكأَنَّها أُكرٌ توقَّدَ نورها ... بالكهرباءةِ فى سَماوةِ مصنعِ
واللَّيلُ موهوبُ الحميَّةِ قائمٌ ... فى مِسْحِه كالرَّاهبِ المُتلفِّعِ
متوشِّحٌ بالنيِّراتِ كباسلٍ ... من نسلِ حامٍ باللُّجَيْنِ مدرَّعِ
حَسبَ النُّجومَ تخلَّفتْ عن أمرِه ... فوَحى لهُنَّ من الهلالِ بإصبَعِ
ما زلتُ أرقبُ فجرَهُ حتى انجلى ... عن مثلِ شادخةِ الكُميتِ الأتلعِ
وترنَّحتْ فوقَ الأراكِ حمامةٌ ... تَصفُ الهوى بلسانِ صَبٍّ مولعِ

تدعو الهديلَ وما رأته، وتلكَ منْ ... شيَمِ الحمائمِ بدْعةٌ لم تُسمَعِ
ريّا المسالكِ حيثُ أمّت صادَفت ... ما تشتهي من مجثمٍ أو مَرتعِ
فإذا علت سكَنَت مظلّةَ أيكةٍ ... وإذا هوت وردَت قرارةَ منبَعِ
أمْلَت عليَّ قصيدةً فجعلتُها ... لشكيبَ تحفةَ صادقٍ لم يَدّعِ
هيَ من أهازيجِ الحمامِ وإنما ... ضمّنتُها مَددَ الهُمامِ الأروعِ
هوَ ذلك الشّمُ الذي بَلغتْ بهِ ... مشكاتُهُ حدَّ السماكِ الأرفعِ
نبراسُ داجيةٍ، وعقلةُ شاردٍ، ... وخطيبُ أنديةٍ، وفارسُ مجمعِ
صَدْقُ البيانِ أعضَّ جرولَ باسمهِ ... وثنَى جريراً بالجريرِ الأطوَعِ
لم يتّخذ بدرَ المقنّعِ آيةً ... بل جاءَ خاطرُهُ بآيةِ يُوشعِ
أحيا رميمَ الشعرِ بعدَ همودهِ ... وأعادَ للأيامِ عَصرَ الأصمَعي
كَلِمٌ لها في السّمعِ أطربُ نغمةٍ ... وبجمرةِ الأسرارِ أحسنُ موقعِ
كالزّهرِ خامَرهُ الندى فتأرّجت ... أنفاسُهُ بالعنبرِ المتَضوّعِ
يعنو لها الخصمُ الألدُّ، ويغتذي ... بلُبانِها ذهنُ الخطيبِ المصقعِ
هيَ نجعةُ الأدبِ التي مَنْ أمّها ... ألقى مراسيَهُ بوادٍ مُمرعِ

مَلَكتُ هوى نفسى، وأحيَتُ خاطرى، ... ورَوَت صدى قلبى، ولَذَّت مسمَعى
فاسلَمْ شكيبُ ولا بَرحتَ بنعمةٍ ... تحنو إليك بأيكها المستفرَعِ
فلأنتَ أجدَرُ بالثناء لمِنَّةٍ ... أوليتَها والبِرُّ أفضلُ ما رُعى
أرهفتَ حدّى فهوَ غيرُ مفلَّلٍ ... ورعيتَ عَهدى فهوَ غيرُ مُضيَّعِ
وبثقتَ لى من فَيضِ بحرِك جَدولاً ... غَمرَ البحارَ بسيلِه المتدفعِ
عذُبَتْ مواردُه فصارت غرّة ... هيمُ السَّحابِ دلاءهَا لم تُقلِعِ
عذُبَتْ مواردُه فلو ألقت به ... لجبينِ كلِّ متوَّجٍ ومقنَّعِ
هو ذلكَ النظمُ الذى شَهِدَت لهُ ... أهلُ البراعةِ بالمقالِ المُبدِعِ
أبصرتُ منهُ أخا أياد خاطباً ... وسمعتُ عنترةَ الفوارسِ يدّعى
وحلمتُ أنّى فى خمائلِ جَنَّةٍ ... ومنَ العجائبِ حالمٌ لم يهجَعِ
فَضلٌ رفعتَ به منارَ كرامةٍ ... صرفَ العيونَ عن المنارِ لتبَّعِ
فمتى أقومُ بشكرِ ما أوليتَنى ... والنجمُ أقربُ غايةً من مَنزِعى
فاعذرْ إذا قصر الثناءُ، فإننى ... رزتُ المقالَ فلم أجِدْ من مقنعِ
لازلتَ ترفُلُ فى وشاءِ سعادةٍ ... وحبيرِ عافيةٍ، وعيشٍ أمرعِ

فأجابه الأمير:

أتُرى يَحل هواكِ بين الأضلعِ ... ويحلُّ لى بسواكِ ذَرْفُ الأدْمُعِ
وأبيتُ أُشركُ فيكِ فى دينِ الهوى ... واكونُ للتوحيدِ أوَّلَ مدَّعِ
وتظل تشردُ بى لغيركِ صبوةٌ ... هى من سجوفكِ فى المحلِّ الأمنَعِ
وأسيمُ فى روضِ الحسانِ موزعاً ... قلباً وَهَى بالحملِ غيرَ موزعِ
قلبٌ عليكِ تختَّمت أبوابُهُ ... ما نحوهُ لسواكِ طرقةُ مَطمعِ
أنّى طويتُ عن النَّسيمِ شغافَهُ ... إنْ جاءنى من غيرِ تلكَ الأربُعِ
وحجبتُ عن كلِّ العواطفِ حُجُبَهُ ... الاَّ الحنينَ لبدرِ ذاكَ المطلعِ
وأبحتُ إلاَّ فى الغرامِ هوادةً ... ومنعتُ إلاَّ أنَّةَ المتوجّعِ
أضَحتْ تُغايرُ فى هواكِ جوارحى ... حتّى ليَغضبَ ناظرى من مسمَعى
وأغارُ من طرفى لغيركِ ناظراً ... لمحاً ولو شيمَ البروقِ اللمَّعِ
ولو استطعتُ الشمسَ ذدت لُعابَها ... مَن سرِّ مهجةِ راهبٍ متورّعِ
يمشى إليكِ ولو بأعمقِ قلبه ... ويشيرُ بالأفكارِ لا بالاصبَعِ
دَرَّعتُ حسنك بالكمال، وفتيةٌ ... من حول خدرك حاسرينَ ودُرَّعِ

فــى كــلّةٍ تَــذرُ الضــراغمَ عــندَها ... مــن ذلّــه أمــثالٍ عُفــرِ الأجــرَعِ
مــا لــلمطامعِ فــى الوصــالِ ودونَــهُ ... خفــرُ الشــريعة والــرماحِ الشــرَّعِ
نَفســى الفــدا المقــنّعٍ هَجَــرت لــهُ ... أجفــانُهنّ شــفارَ كــل مقــنَّعِ
تــتهافتُ الأوهــامُ عــن حُجُــراته ... ويــردُّ خاطــرةٌ المــتيّمَ إذ يعــى
ذاكَ الحمــى إلاّ عــلى مــن أمّــهُ ... مــنى بممــتنع الوجيــب مشــيَّعِ
اكــنهتُ بــالإقدامِ ســرَّ ضــميرهِ ... وحلــلتُ بــالاقدامِ قــلبَ المصــنَعِ
هــىَ زَورةٌ تحــتَ الظــلامِ وَرَدْتُهــا ... فرداً بلا عَضُدٍ . . . بلى قلبى معى!

فــنظرتُ مــن ذاكَ الهــلالِ لــنيّرٍ ... وعــلقتُ مــن ذاكَ الغــزال بأتــلعِ
وأســغتُ فــى نَهــلِ الشــفاهِ وَعَــلِّها ... مــا ليــسَ يعــذبُ بعــدَهُ مــن مكــرعِ
بتــنا كأنّــا خَطــرةٌ فــى خاطــرٍ ... أو وَهــلةٌ حــلّت فــؤادَ مــروَّعِ
نــبّهتُ بالأغــزالِ هــاجعَ حُــبِّها ... وحُماتهــا مــن غافــلينَ وهُجَّــعِ
وســقيتُها كــأسَ الهــوى دهَقــاً ولم ... يحــلُ الهــوى إلاّ بكــأسٍ مــترعِ
متمــلّيين مــنَ العــناقِ كأنــنا ... قــوسٌ خــلا لــزيادة مــن منزعِ

أروى غـريبَ حديـثِ أحـوالِ الجـوى   والـراحُ ليـسَ يطيـبُ غـيرَ مشعشـعِ
وصـلٌ أعـادَ الشـملَ أيَّ موصَّـلِ   لكـنْ أعـادَ القـلبَ أيَّ مقطَّـعِ
عاطيـتُها صـرفَ الهـوى، وعفافُـنا   طـولَ الـتلازمِ لمْ يُشَـبْ مـنْ موضـعِ
كـانت مضـاجعُنا تَـنِثُّ كمالَـنا   لـو كـانَ يوجـدُ مـنطقٌ للمضـجعِ
والـلّيلُ يكـتمُ مـا يـنمُّ بسـرِّهِ   أرَجُ النسـيمِ سـرَى بمسـكٍ أضـوعِ
وتـرى المجـرَّةَ فـى السـماءِ كأنَّها   درٌّ تَـناثَرَ مـن سمـاءٍ مُضـرعِ
حـتى إذا شـقَّ الدجـنَّةَ شـوقُها   لـلقا ذكـاءَ وشـابَ فـودُ الأسـفعِ

ورأيـتُ أسـرابَ الـنُّجومِ تـتابعتْ   بفـرارِها مَصـعَ الـنعامِ الأمـزَعِ
مـا كـانَ أحوجَـنا بـذاكَ لآيـةٍ   تـأتى لـنا فـى عكـسِ آيـةِ يوشـعِ
زحـزحتُ عـنها سـاعدى وتركـتُها   دونَ الكـرى مـن تحـتِ عـبءٍ مضـلعِ
وطـلعتُ أعـثرُ بالسـيوفِ ولـودرى   أهـلُ السـيوفِ مقامـتى لم أفـزَعِ
أيغـولُ مهجـتىَ الكُمـاةُ ومـا لهـم   فخـرٌ سـواى إذا اعـتدوا فـى مجمَـعِ
وتُـرى تخـونُ الخيـلُ فارسَـها، وهـل   يُـردى الحسـينُ عـلى يـدِ المتشـيّعِ؟

أو مَــنْ لهــم مثــلى إذا عَــبَسَ الوغــى	وتضــاحكت أنيــابُ ثغــرِ المصــرَعِ
وتشــاجرت سُــمرُ القــنا وتجــاذبت	بذوائــبٍ، والســيفُ شــبهُ الأصــلعِ
ولقــد بــذذتُ الســابقينَ فمَــنْ لهــم	بوقــوفِ سَــيرٍ بالمكــارمِ مُوضــعِ

وبــلغتُ مــن ســامى الفخــارِ وجــاءنى الــتقريظُ مــن "محمــود ســامى" الأرفــعِ

خــنذيذ هــذا الدَّهــرِ واحــدِ أهلــه	مقــدامِ حلبــتِه الأغــرِّ الأبــتَعِ
القــائلِ الفُصــحَ الــتى عــن مثــلِها	يُثــنى المقفَّــعُ فــى بــنانِ مقفَّــعِ

لــو جــاءَ فــى العصــرِ القديــمِ لمــا روى	الأ قصــائدَهُ لســانُ الأصــمَعى
قــد قــادَ مملكــةَ الكــلامِ، وحازهــا	أخــذَ الأعــزَّةِ لــلذليلِ الأضــرَعِ
أن يَعصِــه قــولٌ فــلم يــكُ لفــتةٌ	حــتى يُذلِّــلَ مســتقيمَ الأخــدَعِ
ســهلُ الــبيانِ عصــيُّهُ للمحــتذى	فلأنــتَ مــنهُ بــين عــاصٍ طيِّــعِ
خُــلقت لــه عــليا الــلغات، فــلو هفــا	نحــو الــركاكةِ جــاء كالمتصــنِّعِ
تغــدو المعــانى حُوَّمــاً حــتى إذا	ســامَينَ فكــرتَهُ هــبطنَ بموقــعِ

مـــا زال يُـــبدعُ قـــائلاً حـــتى يَـــرى بِدَعـــاً عـــلى الأيـــامِ إن لم يُـــبدعِ
إن أجدبـــت أرضُ الخلائـــقِ بالثـــنا فخلالُـــهُ لـــلحمد أمجـــدُ مـــرتعِ
أو حـــارَ قـــومٌ فـــى الشّـــعابِ فإنـــهُ ربُّ المضـــىّ عـــلى المضـــىءِ المهيَـــعِ
أضحى يطارِحُنى القريضُ، وهل ترى مَـــن أصـــبَعٍ يومـــاً يقـــاسُ بـــأذرُعِ
أمـــلى إلىَّ قصـــيدةً فأذابَـــنى خجَـــلاً وهيـــبةَ خاشـــعٍ متصـــدِّعِ
يـــا ابـــنَ الغطارفـــةِ الألى لم ينـــتموا إلاّ بأزهـــرَ فـــى الـــندىّ سُـــمَيذعِ
لا غـــروَ أن يُـــرتجْ عـــلىَّ بحضـــرةٍ أن قابَـــلت شمـــسَ الضُـــحى لم تَســـطعِ
فـــوَ انَّ ســـحبانَ الفصـــاحةِ قـــائمٌ فـــى بابِهـــا مـــا قـــالَ غـــيرُ متعتـــعِ
فهـــناك مـــا بَهـــرَ الخواطـــرَ هيـــبةً وزرى بعارضـــةِ الخطيـــبِ المصـــقعِ
كـــلُّ العقـــائلِ فـــى حمـــاكَ وصـــائفٌ والمنشـــآتِ مـــن الجـــوارى الخضّـــعِ
فاســـلمْ رعـــاكَ اللهُ ســـابغَ نعمـــةٍ وأعـــادَ عيشـــك لـــلزمامِ الأمـــرَعِ
واعـــذرْ إذا قصّـــرتُ عـــن حـــقٍّ فـــلو أمـــليتُ أســـودَ مقلـــتى لم أقـــنعِ

إسماعيل صبرى

أكثر ما ينظم فلخطرة تخطر على باله من مثل حادثة يشهدها أو خبر ذى بال يسمعه أو كتاب يطالعه.

ولما كان لا ينظم للشهرة بل لمجاراة نفسه على ما تدعوه إليه، فالغالب فى أمره أنه يقول الشعر متمشياً، وربما قاله بحضرة صديق وهو مائل عنه بعنقه. وله بين حين وحين أنة بمثل ما تنطق لفظة "أية" مستطيلة.

ينظم المعنى الذى يعرض له فى بيتين عادة إلى أربعة، وقّلما يزيد على هذا القدر إلا حيث يقصد قصيدة وهو نادر.

شديد النقد لشعره كثير التبديل والتحويل فيه حتى إذا استقام على ما يريده ذوقه من رقة اللفظ وفصاحة الأسلوب أهمله ثم نسيه.

وهكذا يمرّ به الآن بعد الآن فيجيش فى صدره الشعر فيرسل بيتيه إطلاق زوجْى الطائر فيذهبان فى الفضاء ضاربيْن من أشطرهما بأجنحة ملتمعة، شاديْين على توقيع العروض إلى أن يتواريا وينقطع نغمهما من عالم النسيان.

ذلك هو الشعر للشعر　　　　خليل مطران

مجلة الزهور - ١٩١٤

فرعون وقومه

"لا القـوم قومـى، ولا الأعـوانُ أعوانـى إذا ونـى يـومَ تحصـيلِ العُـلى وانِ
ولسـتُ- إنْ لم تؤيّدْنـى فراعنـةٌ منكم - بفرعونَ عالى العرشِ والشانِ
ولستُ جبّارَ ذا الوادى إذا سلمتْ جبالُهُ تلك من غاراتِ أعوانى
لا تقربوا النيلَ إن لم تعملوا عملاً فماؤه العذْبُ لم يُخلَقْ لكسلانِ
رِدُوا المجرَّةَ كدًّا دونَ موردِه أو فاطلبوا غيرَهُ رياً لظمآنِ
وأبنُوا كما بَنَتِ الأجيالُ قبلكمُ لا تتركوا بعدكم فخراً لإنسانِ
أمرتُكم، فأطيعوا أمرَ ربّكمُ لا يَثْنِ مُستمعاً عن طاعةٍ ثانِ
فالمُلكُ أمرٌ وطاعاتٌ تُسابقُهُ جنباً لجنبٍ إلى غاياتِ إحسانِ
لا تتركوا مستحيلاً فى استحالتِه حتى يُميطَ لكم عن وجهِ إمكانِ. . ."

❀❀❀

مقالةٌ قد هَوَتْ من عرشِ قائلها على مناكبِ أبطالٍ وشُجعانِ

مادَتْ لها الأرض من ذُعرٍ، ودان لها … ما في المقطَّمِ من صخرٍ وصوّانِ
لو غيرُ فرعونَ ألقاها على ملأٍ … في غير مصر لعُدَّتْ حُلْمَ يقظانِ
لكنَّ فرعونَ إن نادى بها جَبَلاً … لبّتْ حجارتُهُ في قبضةِ الباني
وآزرتْهُ جماهيرٌ تسيلُ بها … بطاحُ وادٍ بماضي القومِ ملآنِ
يبنون ما تَقِفُ الأجيالُ حائرةً … أمامَهُ بين إعجابٍ وإذعانِ
من كلِّ ما لم يَلِدْ فكرٌ ولا فَتَحَتْ … على نظائره في الكون عينانِ
ويُشبِهونَ إذا طاروا إلى عَمَلٍ … جِنًّا تطيرُ بأمرٍ من سُليمانِ
برًّا بذى الأمرِ، لا خوفاً ولا طَمَعاً ، … لكنَّهم خُلقوا طُلّابَ إتقانِ

***

أهرامُهم تلك، حيِّ الفنَّ متّخذاً … من الصخورِ بروجاً فوق كيوانِ
قد مَرَّ دهرٌ عليها، وهي ساخرةٌ … بما يُضَعْضِعُ من صَرحٍ وإيوانِ
لم يأخذِ الليلُ منها والنهارُ سوى … ما يأخذُ النملُ من أركانِ ثهلانِ

كأنهــا – والعــوادى فــى جوانــبها صَــرعى بــناء شــياطين لشــيطانِ
جــاءَتْ إليهــا وفــودُ الأرض قاطــبةً تســعى أشــتياقاً إلى مــا خــلَّدَ الفــانى
فصــغَّرتْ كــلَّ موجــودٍ ضــخامتُها وغــضَّ بــنيانُها مــن كــلِّ بُــنيانِ
وعــادَ مُــنكِرُ فضــلِ القــومِ معترفــاً يُثْــنى عــلى القــوم فــى سِــرٍّ وإعــلانِ

*****

تــلك الهيــاكلُ فــى الأمصــار شــاهدةٌ بــأنهم أهــلُ ســبقٍ، أهــلُ إمعــانِ
وأنَّ فــرعونَ فــى حَــولٍ ومقــدرةٍ وقــومَ فــرعونَ فــى الإقــدام كفــؤانِ
إذا أقــام عــليهم شــاهداً حَجَــرٌ فــى هيكــلٍ قــامت الأُخــرى بــبرهانِ
كأنمــا هــى – والأقــوام خاشــعةٌ أمامهــا – صُــحُفٌ مــن عــالَمٍ ثــانِ
تَســتقبلُ العــينَ فــى أثــنائها صُــوَرٌ فصــيحةُ الرمــز دارتْ حــولَ جُــدرانِ
لــو أنهــا أعطِيَــتْ صــوتاً لكــانَ لــهُ صــدًى يُــروِّع صُــمَّ الإنــس والجــانِ
أيــن الألى سَــجَّلوا فــى الصــخرِ ســيرتهم وصَــغَّرُوا كــلَّ ذى مُــلكٍ وســلطانِ

بـادُوا، وبـادَتْ عـلى آثـارهم دُوَلٌ ... وأدرِجُوا طـيَّ أخـبارٍ وأكفـانِ

وخـلَّفوا بعدَهُـم حـرباً مُخـلَّدةً ... فـى الكـونِ مـا بـينَ أحجـارٍ وأزمـانِ

وزُحِـزحوا عـن بقايا مجدِهـم، وسِـطا ... عـليهمِ العـلمُ ذاكَ الجـاهلُ الجـانى

إلى الأمير.. عمر باشا طوسون

مناسبة إعانته جرحى الحرب البلقانية

لك الإمارةُ، والأقوامُ ما بَرحتْ	بكلِّ عالى الذُرى فى الكونِ تأتمرُ
لو لم تَرِثْها، لما ألقتْ أعِنَّتها	إلاَّ إليكَ خِلالٌ كلُّها غُرَرُ
ياابن الأُلى لو أطلُّوا من مضاجعهم	يوماً عليكَ لقالوا: إيهِ يا عُمَرُ!
أعدتَ أيامَهُم فى مِصرَ ثانيةً	حتى توهَّمَ قومٌ أنهم نُشِرُوا
وسرتَ سيرتَهم، حتى كأنَّهمُ،	إذا خطرتَ بأرضٍ مرَّةً، خَطَروا
للهِ درُّكَ! كم نبَّهتَ من هممٍ	تُثنى على أهلها الآصالُ والبكَرُ
وكم تعهدتَ جرحىً من أسودِ وغىً	إن يكشرِ الدهرُ عن أحداثهِ كشروا
مستنجداً من بنى مصرٍ أُلى شَمَمٍ	إذا رأوا ثلمةً فى حوضهم جَبَروا
مستهمياً هامياً، والنيلُ فى وجَلٍ	من أن تجودَ بهِ أيمانُكم حذِرُ
حتى تفاهَمتِ الأرحامُ، واذكرت	ما بينها الأهلُ والخلاّنُ والأسَرُ

وآذنَ البرُّ بالسُقيا، وما فتئت   منهم ومنكَ صنوفُ البرّ تُنتَطرُ
وحرّكت كلَّ كفٍّ بالندي مقةٌ   حتى تعجّبَتِ الأنهارُ والغُدُرُ
والناسُ، إن قام يستسقي الكريمُ لهم   سحائبَ الفضلِ، بشَرْهم فقد مُطِروا
يأبى عَلاءُ سعيدٍ أن يُشابِهَهُ   إلاَّ ابنُ دوحتِهِ إن قام يَفتخرُ
ما زال يحمَدُهُ رائيكَ مُدّكراً   والأصلُ بالفرعِ إن حاكاهُ يُذكَرُ

الشباب والمشيب

لم يدرِ طَعمَ العيش شُبّانٌ – ولم يُدركْهُ شِيبُ
جهلٌ يُضلّ قوى الفتى فتطيشُ، والمرمى قريبُ
وقوىً تخورُ، إذا تشبّثَ – بالقوى الشيخُ الأريبُ
فيما يُقالُ كبا المغفّلُ – إذ يُقالُ خبا اللبيبُ
أوّاهُ! لو علِمَ الشبابُ – وآهِ لو قدرَ المشيبُ (١)

(1) Si jeunesse savait, Si vieillesse pouvait.

فؤادى

أقصرْ فؤادى! فما الذّكرى بنافعة ولا بشافعة فى رَدّ ما كانا
سلا الفؤادُ الذى شاطرتَهُ زمناً حَمْلَ الصَّبابةِ، فاخفقْ وحدكَ الآنا
هلاَّ أخذتَ لهذا اليومِ أُهبتَهُ من قبلِ أن تُصبحَ الأشواقُ أشجاناً
لَهفِى عليكَ قضيتَ العمرَ مقتحماً فى الوصلِ ناراً وفى الهجرانِ نيرانا

عبد بلا ثمن

يــــا مَنْ أقــــامَ فُـــؤادى إذ تمـــلَّكَهُ   مـا بَينَ نـارَيْنِ مـن شـوقٍ ومـن شـجَنِ
تفديـك أعـينُ قـومٍ حولَـكَ ازدَحمـتْ   عَطشـى إلى نَهـلةٍ مـن وجهـكَ الحسـنِ
جـرَّدتَ كـلَّ مَـليحٍ مـن مَلاحـتـه   لم تَـتَّقِ اللهَ فـى ظَـبيٍ ولا غُصُـنِ
فاسـتبقِ للـبَدرِ بـين الشُـهْب رتبـتَهُ   تملكُهُ فـى أوجـهِ عـبداً بـلا ثَمَـنِ

ساعة الوداع

أتُـــرى، أنـــتَ خـــاذلى ســـاعةَ الـتو ديعِ يـا قَـلبُ فـى غَـدٍ أم نصـيرى؟
وَيــكَ! قــلْ لى مــتى أراكَ بجنــبى راضـيـاً عـن مكـانكَ المهجـورِ؟
ســاعةَ الـبين، قطعــةٌ أنــتِ قُــدَّتْ للمُحـبِّينَ مِـنْ عَـذَابِ السَّـعيرِ
لا تحيـــنى، روحـــى الفِــداءُ لمـــا حيــ ـــكِ غـــداً مِـنْ صـحيفةِ المقـدورِ

إلى اللّه ..

يـا ربّ ! أيـن تُـرى تُقـامُ جهـنّمٌ ... لـلظالمين غـداً وللأشـرارِ
لم يُبقِ عفوُكَ في السماوات العُلى ... والأرض شبراً خاليـاً للنـارِ
يـا ربّ ! أهّلْني لفضلكَ واكفني ... شَطَطَ العقـولِ وفتنةَ الأفكـارِ
ومُرِ الوجودَ يشفَّ عنكَ، لكي أرى ... غضَبَ اللّطيفِ ورحمةَ الجبّارِ
يا عالِمَ الأسرارِ، حسبيَ محنةً ... علمي بأنكَ عالمُ الأسرارِ
أخلِقْ برحمتكَ التي تسَعُ الورى ... ألاّ تَضيقَ بأعظمِ الأوزارِ

يا آسى الحىّ

يا آسى الحىّ هَلْ فَتَّشتَ فى كَبدِى ... وهــل تبيّــنتَ داء فــى بقايــاهــا
أوّاهُ! مـــن حُـــرقٍ أودَتْ بمُعظَمِهــا ... ولم تَــزلْ تتمشَّــى فــى بقايــاهــا
يا شوقُ، رِفقاً بأضلاعٍ عَصفتَ بها ... فالقــلبُ يخفُــقُ ذُعــراً فــى حــناياها

الوفــــــاء

إذا خانَــــنى خِــلٌ قديــمٌ، وعَقَّـــنى   وفوَّقــتُ يومــاً فــى مَقاتِلــه سَــهمى

تعــرَّضَ طَيــفُ الــودِّ بيــنى وبيــنَهُ   فكسَّــر ســـهمى، فانثـــنيتُ ولم أرمِ

ذكرى الشباب

تُمسى تُذكّرُنا الشبابَ وعهدَهُ ... حسناءُ مرهفةُ القَوامِ، فنَذكرُ
هَيفاءُ أسكرَها الجمالُ، وبعضُ ما ... أوفى على قدرِ الكفايةِ يُسكِرُ
تَثِبُ القلوبُ إلى الرؤوس إذا بَدَتْ ... وتُطِلُّ من حَدَقِ العيونِ وتَنظرُ
وتَبيتُ تكفُرُ بالنحورِ قلائدٌ ... فإذا دَنَت من نحرِها تستغفرُ
ويَزيدُ في فمِها اللآلئُ قيمةً ... حتى يَسودَ كبيرَهُنَّ الأصغرُ

بين الشريف وصبرى

سمع إسماعيل صبرى بيتىْ الشريف الرضى، وهما :

أرى بعد وردِ الماءِ فى القلبِ غُلَّةً   إليكِ، على أنِّى من الماءِ ناقعُ
وإنى لأقوى ما أكونُ طماعةً   إذا كذبتْ فيكِ المُنى والمطامعُ

فقال مجاراةً لهُ :

يا مَوردًا، كنتُ أغنى ما أكونُ بهِ   عن كلِّ صافٍ إذا ما بات يروينى
عندى لمائكَ، والأقداحُ طوعَ يدى   ملأى من الماءِ، شوقٌ كاد يُردينى

أحمد شوقى

ينظم بين أصحابه فيكون معهم وليس معهم، وينظم فى المركبة وفى السكة الحديدية وفى المجتمع الرسمى وحين يشاء. ولا يعرف جليسه أنه ينظم إلا إذا سمع منه بادئ بدء غمغمة تشبه النغم الصادر من غور بعيد ثم رأى ناظريه وقد برقا وتواترت فيهما حركة المحجرين، ثم بصر به وقد رفع يده إلى جبينه وأمرّها عليه إمراراً خفيفاً هنيهة بعد هنيهة.

فإذا قوطع فى خلال النظم، انتقل إلى أى بحث يباحث فيه، حاضر الذهن صافيه، جميل البادرة كعادته فى الحديث. ثم إذا استأنف ذلك المنظوم ولو بعد أيام طوال عاد إليه كأنه لم ينقطع عنه مستظهراً ما تمّ منه حافظاً لبقية المعنى الذى يضمره.

يكتب القصيدة بعد تمامها وربما تمّت ونسيها شهراً ثم ذكرها فكتبها فى جلسة واحدة.

يكلف أحياناً بمعارضة المتقدمين ولا يندر عليه أن يبزّهم.

لا يجهد فكره ولا يكده فى معنى أو فى مبنى

فأما المعنى فيجيئه على مرامه أو على أبعد من مرامه ولا ينضب عنده لأنه يستخلصه من عقل فوار الذكاء ومعارف جامعة إلى أفانين الآداب فى لغات الإفرنج والأعراب فلسفة الحقوق وحقائق التاريخ وغرائب السير التى يحفظ منها غير يسير إلى مشاركات علمية وتنبيهات فنية استفادها من مطالعته فى صنوف الكتب واتخذها عن ملحوظاته ومسموعاته فى جولاته بين بلاد الشرق والغرب.

وأما المبنى فله فيه أذواق متعددة بتعدد مقامات القول: ترى فيه من نسج البحترى ومن صياغة أبى تمام ومن وثبات المتنبى ومن مفاجآت الشريف ومن مسلسلات مهيار

وفى المجموع تجد صفة عامة للنظم وهى أنه نظم شوقى

ذلك شعر العبقرية والتفوق

خليل مطران

مجلة الزهور

١٩١٤

الأندلس الجديدة

يـا أُخـتَ أندلُـسٍ، عـليكِ سَـلامُ ... هَـوتِ الخلافـةُ عـنكِ والإسـلامُ
نـزلَ الهِـلالُ عـن السـماءِ فليتَها ... طُوِيَـتْ، وعَـمَّ العـالمينَ ظـلامُ
أزرى بـه، وأزالَـهُ عـن أوجِـه ... قَـدرٌ يحطُّ البـدرَ وهـو تمـامُ
جـرحانِ تَمضـي الأُمَّـتانِ عـليهما ... هـذا يَسـيلُ، وذاكَ لا يَلتـامُ
بكُمـا أُصـيبَ المسـلمونَ، وفيكمـا ... دُفِـنَ اليَـراعُ، وغُيِّـبَ الصَّمصـامُ
لم يُطـوَ مأتمُهـا، وهـذا مـأتمٌ ... لبسُـوا السـوادَ عـليكِ فيـه وقـامُوا
مـا بـينَ مصـرعِها ومصـرعكِ انقضتْ ... فـيما نُحِـبُّ ونكـرَهُ الأيـامُ
والدهـرُ لا يـألو المـمالكَ مُـنذِراً ... فـإذا غفَـلنَ فمـا عـليه مَـلامُ
خلـتِ القـرونُ كليلةٍ وتصرَّمتْ ... دُوَلُ الفُتـوحِ كـأنَّها أحـلامُ

❀❀❀❀❀

مقدونيـا، والمسـلمونَ عَشـيرةٌ ... كيـفَ الخُؤولـةُ فيـكِ والأعمـامُ؟
أتُـراهموا هـانوا، وكـانَ بعـزِّهم ... وعُـلوِّهم يَـتخايلُ الإسـلامُ؟

إذْ أنتِ نابُ الليثِ، كلُّ كتيبةٍ ... طَلعَت عليكِ فريسةٌ وطَعامُ
ما زالتِ الأيامُ حتى بُدِّلتْ ... وتَغيَّرَ الساقى، وحَالَ الجامُ
أرأيتِ كيفَ أُديلَ من أُسْدِ الشَّرى ... وشَهدتِ كيفَ أُبيحت الآجامُ
زعموكِ هَمًّا للخلافةِ ناصباً ... وهلِ الممالكُ راحةٌ ومَنامُ
ويقولُ قومٌ كنتِ أشأمَ موردٍ ... وأراكِ سائغةً عليكِ زُحامُ
ويَراكِ داءَ المُلْكِ ناسٌ جهالةً ... بالمُلكِ منهم علَّةٌ وسقامُ
لو آثرُوا الإصلاحَ كنتِ لعرشِهم ... رُكْناً على هامِ النجومِ يُقامُ
وهمُ يقيِّدُ بعضُهم بعضاً بهِ ... وقيودُ هذا العالمِ الأوهامُ
صُوَرُ العَمى شتَّى، وأقبحُها إذا ... نظرَتْ بغيرِ عيونِهنَّ الهامُ

***

ومبشِّرٍ بالصلحِ قلتُ: لعلَّهُ ... خيرٌ، عسى أن تصدقَ الأحلامُ
تركَ الفريقانِ القتالَ؛ وهذهِ ... سلمٌ أمرُّ من القتالِ عُقامُ
يَنعى إلينا المُلكَ ناعٍ لم يطأْ ... أرضاً ولا انتقلتْ بهِ أقدامُ

بـرقٌ جوائبُهُ صواعقُ كلُّها ... ومن البروقِ صواعقٌ وغمامُ

إن كانَ شرٌّ، زارَ غيرَ مفارقٍ ... أو كانَ خيرٌ، فالمزارُ لمامُ

بالأمسِ أفريقا تولَّت وانقضى ... مُلكٌ على جيدِ الخضمِ جُسامُ

نَظَمَ الهلالُ به ممالكَ أربعاً ... أصبحنَ ليسَ لعقدهنَّ نظامُ

من فتحِ هاشمَ أو أميَّةَ لم يضعْ ... آساسَها تترٌ ولا أعجامُ

واليومَ حُكْمُ الله في مقدونيا ... لا نقضَ فيه لنا ولا إبرامُ

كانت من الغرب البقية فانقضت ... فعلى بني عُثمانَ فيه سلامُ !

أخذَ المدائنَ والقُرى بخناقها ... جيشٌ من المتحالفينَ لهامُ

غطَّت به الأرضُ الفضاءُ وجوهَها ... وكست مناكبَها به الآكامُ

تمشي المناكرُ بين أيدي خيله ... أنَّى مشى، والبَغيُ والإجرامُ

ويحثُّهُ باسمِ الكتاب أقسَّةٌ ... نشطوا لما هوَ في الكتاب حرامُ

ومسيطرون على الممالك سُخِّرتْ ... لهم الشعوبُ كأنها أنعامُ

من كلِّ جزَّارٍ يرومُ الصدرَ في ... نادي الملوكِ وجَدُّهُ غنَّامُ

سكِّينُهُ، ويمينُهُ، وحزامُهُ ... والصولجانُ، جميعُها آثامُ

❊❊❊

عِيسَى سَبيلُكَ رَحمةٌ ومحبَّةٌ ... فى العالمينَ وعِصمةٌ وسلامُ
ما كنتَ سفّاكَ الدماءِ ولا امرأً ... هانَ الضِعافُ عليه والأيتامُ
يا حاملَ الآلامِ عن هذا الورى ... كثُرتْ عليه باسمِكَ الآلامُ
أنتَ الذى جعلَ العبادَ جميعَهم ... رَحِماً، وباسمِكَ تُقطَعُ الأرحامُ
أتتِ القيامةُ فى ولايةِ يوسفٍ (١) ... واليومَ باسمِكَ مرَّتينِ تُقامُ
كم هاجَهُ صِيدُ الملوكِ وهاجَهم ... وتكافأَ الفرسانُ والأعلامُ
البغىُ فى دينِ الجميعِ دنيّةٌ ... والسِّلمُ عَهدٌ والقتالُ ذِمامُ
واليومَ يَهتِفُ بالصليبِ عصائبٌ ... هُمْ للإلهِ وروحِهِ ظُلّامُ
خلطُوا صليبَكَ والخناجرَ والمُدَى ... كلٌّ أداةٌ للأذى وحِمامُ
أوَ ما تراهم ذبَّحوا جيرانَهم ... بينَ البيوتِ كأنَّهم أغنامُ
كم مُرضَعٍ فى حِجرِ نعمتِه غدا ... ولهُ على حَدِّ السيوفِ فِطامُ
وصبيَّةٍ هُتِكتْ خَميلةُ طُهرِها ... وتناثرتْ عن نَورِهِ الأكمامُ
وأخى ثمانينَ استُبيحَ وَقارُهُ ... لم يُغنِ عنهُ الضعفُ والأعوامُ

---

(١) يوسف صلاح الدين الأيوبى.

وجـريح حـرب ظـامـئٍ وأدُوهُ لم ... يعطفهـم جـرحٌ دمٍ وأوامُ

ومهاجـرينَ تـنكّرت أوطـانهم ... ضـلوا السبيل من الذهـول وهـاموا

السيفُ، إن ركبوا الفرارَ، سبيلهم، ... والنطعَ، إن طلبوا القرار، مقـامُ

يتلفتـون مودعيـنَ ديـارَهم ... واللحظ مـاءٌ، والديـارُ ضـرامُ

⁂

يـا أمـةً بفـروق فـرّق بينهم ... قـدرٌ تطيشُ إذا أتـى الأحـلامُ

فيما التخاذل بينكم، ووراءكـم ... أمـمٌ تُضـاعُ حقوقهـا وتضـامُ؟

الله يشهدُ لم أكـن متحزِّباً، ... فـي الرزء لا شيَعٌ ولا أحزامُ.(١)

وإذا دعـوتُ إلى الوئـام، فشـاعرٌ ... أقصـى مناهُ محبّـةٌ ووئـامُ

مـن تضجرُ البلوى فغايـةُ جُهـده ... رُجْعَـى إلى الأقـدار واستسـلامُ

لا يـأخذنَّ عـلى العواقب بعضكم ... بعضـاً، فقدمـاً جـارت الأحكـامُ

تقضـي عـلى المرءِ الليالي أو لـهُ ... فـالحمدُ مـن سلطانها والـذامُ

مـن عـادة التـاريخ مـلءُ قضـائه ... عـدل ومـلءُ كنانـتيه سهـامُ

(١) الأحزاب وزناً ومعنى.

ما ليسَ يدفعُهُ المهنّدُ مُصلَتاً ... لا الكُتْبُ تدفعُهُ ولا الأقلامُ
أنّ الألى فتحوا الفُتوحَ جلائلاً ... دخلوا على الأُسْد الغياضَ وناموا
هذا جناهُ عليكمُ آباؤكم ! ... صبراً وصفحاً، فالجُناةُ كرامُ
رفعوا على السيفِ البناء فلم يَدُمْ ... ما للبناء على السيوف دَوامُ
أبقى الممالكِ ما المعارفُ أسُّهُ ... والعدلُ فيه حائطٌ ودعامُ
فإذا جرى رشَداً ويُمناً أمرُكم ... فامشوا بنورِ العلمِ فهو زمامُ
ودعوا التفاخرَ بالتُّراث وإن غلا ... فالمجد كَسْبٌ والزمانُ عصامُ
إن الغرورَ إذا تملّكَ أمّةً ... كالزَّهر يُخفي الموتَ وهو زؤامُ
لا يعدلنَّ المُلكَ في شهواتكم ... عَرَضٌ من الدنيا بدا وحُطامُ
ومناصبٌ في غيرِ موضعَها كما ... حلّت محلَّ القدرة الأصنامُ
الملكُ مرتبةُ الشعوبِ، فإنْ يفتْ ... عزَّ السيادة فالشعوبَ سوامُ
ومن البهائمِ مُشبَعٌ ومدلَّلٌ ... ومن الحريرِ شكيمةٌ ولجامُ
وقف الزمان بُكم كموقفِ "طارقٍ" ... اليأسُ خلفٌ والرجاءُ أمامُ
الصبرُ والإقدامُ فيه إذا هُما ... قَتلا، فأقتلُ منهما الإحجامُ

يُحصي الدليلُ مَدى مَطالبه ولا ... يُحصي مَدى المستقبَل المقدامُ
هذي البقيَّةُ، لو حرصتم، دولةٌ ... صالَ الرشيدُ بها، وطالَ هشامُ
قسمُ الأئمَّة والخلائف قبلكم ... في الأرض لم تعدلْ به الأقسامُ
سرَتِ النبوَّةُ في طهور فضائه ... ومشى عليه الوحيُ والإلهامُ
وتدفَّقَ النَّهرانِ فيه، وأزهرت ... بَغدادُ تحت ظلاله والشامُ
أثرتْ سواحلُهُ، وطابت أرضُهُ ... فالدُّرُّ لجٌّ،والنُّضارُ رغامُ

❀❀❀

شَرَفاً إدرْنَةُ! هكذا يقفُ الحمى ... للغاصبينَ، وتثبُتُ الأقدامُ
وتردُّ بالدمِ بقعةٌ أُخذتْ به ... ويموتُ دون عرينه الضِّرغامُ
والمُلكُ يُؤخذُ أو يُرَدُّ ولم يزلْ ... يرثُ الحُسامَ على البلادِ حُسامُ
عِرْضُ الخلافةِ ذادَ عنهُ مجاهدٌ ... في اللهِ غازٍ، في الرسولِ هُمامُ
تستعصمُ الأوطانُ خلف ظُباتِه ... وتعزُّ حولَ قَناتِه الأعلامُ
عثمانُ في بردَيه يمنعُ جيشَهُ ... وابنُ الوليدِ على الحمى قوَّامُ
عَلمَ الزمانُ مكان "شكري" وانتهى ... شكرُ الزمانِ إليه والإعظامُ

❀❀❀

صبراً أدرنة! كل مُلك زائل ... يوماً ويبقى المالكُ العلاّمُ
خفتت الأذانُ فما عليك موحّدٌ ... يسعى، ولا الجَمعُ الحسانُ تقامُ
وخبتْ مساجدُ كنّ نوراً جامعاً ... تمشي إليه الأُسْدُ والآرامُ
يدرجن في حَرَمِ الصلاة قوانتاً ... بيضَ الإزار كأنهنّ حَمامُ
وعفت قبورُ الفاتحينَ، وفُضّ عن ... حُفَرِ الخلائفِ جندل ورجامُ
نبشت على قعساء عزّتها كما ... نبشت على استعلائها الأهرامُ
في ذمّة التاريخ خمسة أشهر ... طالت عليك، فكل يومٍ عامُ
السيفُ عارٍ، والوباءُ مسلط ... والسُّبْلُ خوفٌ، والثلوجُ ركامُ
والجوعُ فتّاك، وفيك صحابة ... لو لم يجوعوا في الجهاد لصاموا
ضنّوا بعرضك أن يُباعَ ويُشترى ... عرضُ الحرائر ليس فيه سوامُ
ضاق الحصارُ كأنما حلقاتهُ ... فلكٌ، ومقذوفاتها أجرامُ
ورمى العدى، ورميتهم بجهنّم ... مما يصُبُّ اللهُ لا الأقوامُ
بغت العدوَّ بكل شبرٍ مهجة ... وكذا يُباعُ المُلكُ حين يُرامُ
ما زال بينكَ في الحصار وبينهُ ... شُمُّ الحصون ومثلهنّ عظامُ
حتّى حواك مقابراً وحوبته ... جُثثاً، فلا غَبْنٌ ولا استذمامُ

هيكل أنس الوجود

أيهـا المنتحي "بأسوانَ" داراً ... كالثريّا تريدُ أن تنقضّا
إخلعِ النعل واخفضِ الطرفَ واخشعْ ... لاتحاولْ من آيةِ الدهرِ غمضا
قفْ بتلكَ القصور في اليمّ غرقى ... ممسكاً بعضُها من الذعرِ بعضا
كعذارى أخفينَ في الماءِ بَضاً ... سابحاتٍ به، وأبدينَ بَضا
مُشرفاتٍ على الزّوال، وكانتْ ... مُشرفاتٍ على الكواكبِ نهضا
شابَ من حولها الزمانُ، وشابت، ... وشبابُ الفنون ما زال غضّا
رُبَّ نقشٍ كأنَّما نفضَ الصّا ... نعُ منهُ اليديْنِ بالامسِ نفضا
ودُهانٍ كلا مع الزّيتِ مرّت ... أعصرٌ بالسراجِ والزّيتُ وضّا
وخطوطٍ كأنّها هدبُ ريمٍ ... حسنتْ صنعةً وطولاً وعرضا
وضحايا تكادُ تمشي وترعى ... لو أصابت من قدرة الله نبضا
ومحاريبَ كالبروجِ بنتها ... عَزماتٌ من عزمةِ الجنّ أمضى
شيّدت بعضَها الفراعينُ زلفى ... وبنى البعضَ أجنبٌ يترضّى

حظُها اليومَ هدَّةٌ، وقديماً صرفت فى الحظوظ رفعاً وخفضا
ومقاصيرَ أبدلتْ بفتات الـ ـمسك تِرباً، واليواقيت قضّا
صنعة تُدهشُ العقولَ، وفنٌّ كان إتقانُه على القومِ فَرضاً

***

ياقصوراً نظرتُها وهى تقضى فسكبتُ الدموعَ، والحقُ يقضى
أنتِ طُغراً، ومجدُ مصر كتابٌ، كيفَ سامَ البلى كتابَك فضّا ؟
وأنا المحتفى بتأريخ مصر من يصُنْ مَجدَ قومه صانَ عرضا
لم تمتْ أمّةٌ، ولا بادَ شعبٌ اقرَضوا الذكرَ والأحاديثَ قرضا
رُبَّ سرٍّ بجانبيكِ مُزالٍ كان حتّى على الفراعين غمضا
قُلْ لها فى الدُّعاء لو كان يُجدى: يا سماءَ الجلالِ لا صرتِ أرضاً
حارَ فيكِ المهندسونُ عُقولاً وتولّت عزائمُ العلمِ مَرضى
أينَ مُلكٌ حيالها وفريدٌ من نظامِ النعيمِ أصبحَ فضّا ؟
أين فرعونُ فى المواكبِ تَترى يركضُ المالكينَ كالخيلِ ركضا ؟
ساقَ للفتحِ فى الممالكِ عرضاً وجلا للفَخارِ فى السلمِ عرضا

أيـن إيـزيسُ" تحتـها الـنيلُ يجـرى ... حكمـتْ فيـه شـاطئَين وعرضـا ؟
أسـدلَ الطـرفَ كـاهنٌ ومليـكٌ ... فـى ثـراها، وأرسـلَ الـرأسَ خفضـاً
يُعـرَضُ المـالكون أسـرى عـليها ... فـى قيـود الهـوان عـانينَ جَرضـى (١)
مالَهـا أصـبحتْ بغـير مُجـيرٍ ... تشـتكى مـن نوائـب الدّهـرِ عضـا ؟
هـىَ فـى الأسـر بـين صـخرٍ وبحـرٍ ... مَـلِكةٌ فـى السـجون فـوقَ حضوضـى
أيـن "هـوروسُ" بـين سـيفٍ ونطـعٍ ... أبهـذا فـى شـرعهم كـان يُقضـى ؟
ليـت شـعرى! قضـى شـهيدَ غـرامٍ ... أم رمـاهُ الوشـاةُ حقـداً وبُغضـا ؟
رُبَّ ضـربٍ مـن سـوطِ فـرعونَ مـضٍ ... دونَ فعـلِ الفـراقِ بالـنفسِ مَضّـا
وهـلاكٍ بسـيفه وهوَقـان ... دونَ سـيفٍ مـن الـلواحظِ يُنضـى
قتـلوهُ فهـل لـذاك حديـثٌ؟ ... أيـن راوى الحديـثِ نـثراً وقرضـا ؟
شـيمةُ الـنيل أن يفـى، وعجيـبٌ ... أحـرجوهُ فضـيّعَ العهـدَ نقضـا
حاشَـهُ (١)المـاءُ فهـو صـيدٌ كـريمٌ ... ليـتَ بالـنيلِ يـومَ يسـقطُ غيضـا
شيـدوا المـالَ، والعلومُ قليلٌ ... أنقـذوهُ بالمـال والعلمِ نقضاً (٢)

---

(١) معصومين .

(٢) أثر .

بيروت .. على أثر الأسطول الإيطاليانى لمدينة بيروت

تليت فى الحفلة التى أقيمت فى مصر برئاسة دولة الأمير محمد على باشا شقيق الجناب الخديوى لمساعدة منكوبى تلك الحادثة:

يا ربّ أمرُكَ فى الممالك نافذٌ   والحُكمُ حكمُك فى الدّمِ المسفوكِ
إن شئتَ أهرقْهُ، وإن شئتَ احمِهِ   هوَ لم يكن لسواكَ بالمملوكِ
واحكُم بعدلك، إنّ عدلَكَ لم يكنْ   بالممترَى فيهِ ولا المشكوكِ
ألأجْلِ آجالٍ دَنَتْ وتهيّأتْ   قَدّرتَ ضربَ الشاطئِ المتروكِ
ما كانَ يَحميهِ ولا يُحمَى بِهِ   فُلْكانِ أنعمُ من بواخرِ "كُتوكِ"
هذى بجانبِها الكسيرِ غريقةٌ   تهوى، وتلكَ بركنِها المدكوكِ

٭٭٭

بيروتُ، ماتَ الأُسْدُ حتفَ أنوفِهم   لم يَشْهَروا سيفاً ولم يحموكِ
سبعون ليثاً أحرقوا أو أغرقوا   يا ليتهم قُتِلوا على "طبروكِ"

---

(١) خاش أى أحرج الصيد من كل مكان.

كُلٌّ يصيدُ الليثَ وهو مقيَّدٌ ... ويعزُّ صيدُ الضيغمِ المفكوكِ
يا مَضْرِبَ الخَيمِ المنيفةِ للقِرى ... ما أنصفَ العُجْمُ الأُلى ضربوكِ
ما كُنتِ يوماً للقنابلِ موضعاً ... ولوَ أنّها من عسجدٍ مسبوكِ
بَيروتُ، يا راحَ النزيلِ وأُنسَهُ ... يمضي الزمانُ عليَّ لا أسلوكِ
الحُسنُ لفظٌ في المدائنِ كلِّها ... ووجدتُهُ لفظاً ومعنىً فيكِ
نادمتُ يوماً في ظلالكِ: فتيةً ... وسموا الملائكَ في جلالِ ملوكِ
يَنسونَ "حَسّاناً" عصابةَ "جُلَّقٍ" ... حتى يكادَ بجلّقٍ يفديكِ
تاللهِ ما أحدثتِ شرّاً أو أذىً ... حتى تُراعي أو يُراعَ بنوكِ
أنتِ التي يحمي ويمنعُ عِرضَها ... سيفُ الشريفِ وخنجرُ الصعلوكِ
إن يجهلوكِ فإنّ أُمَّكِ سوريا ... والأبلقَ الفردَ الأشمَّ أبوكِ (١)
والسابقينَ إلى المفاخرِ والعُلى ... بُلُهَ المكارمَ والتّندّي أهلوكِ
سالت دماءٌ فيكِ حولَ مساجدٍ ... وكنائسٍ ومدارسٍ و "بنوكِ"
كُنّا نؤمّلُ أن يُمَدَّ بقاؤها ... حتى تبلَّ صدى القنا المشبوكِ

---

(١) جبل لبنان.

لــكِ فــى رُبــى الــنيل المــباركِ جــيرةٌ   إنَّ الأمــــير "محمَّـــداً" يأســـوكِ
لــو يســـتطيعُ كــرامُ مصــر كَــرامةً   "لمحمَّـــد" بقـــلوبهم ضـــمدوكِ
هــو فــى ابْــناء المجــد صــورةُ جَــدِّهِ   أذكــرتِ "إبــراهيم" فــى نــاديكِ؟

العصر والعصفور

نظمت فى خلال أسبوع الطيران الذى أقيم فى مصر الجديدة من ٦ –١٣ فبراير (شباط) سنة ١٩١٠.

قُمْ سُليمانُ، بِساطُ الرِّيحِ قامَا ... مَلَكَ القومُ منَ الجوِّ الزِّمَاما
حينَ ضاقَ البَرُّ والبحرُ بهمِ ... أسرَجُوا الريحَ وسامُوها اللِّجاما
صارَ ما كانَ لكم مُعجزةً ... آيةً للعِلمِ آتاها الأناما
قدرةٌ كنتَ بها منفرداً ... أصبَحتْ حِصَّةَ منْ جَدَّ اعتزاما
"عينُ شمسٍ" قامَ فيها ماردٌ ... منْ عفاريتكَ يُدعى "لتهاما"
يَملأُ الجوَّ عَزيفاً كلَّما ... ضَربَ الريحَ بسوطٍ والغَماما
مَلكُ الجوِّ تليهِ عصبةٌ ... جَمعتْ شَهماً وندباً وهُماما
فاستووا فوقَ مناطيدهمِ ... ما يُبالونَ حياةً أم حماما
وقبوراً فى السَّمواتِ العُلى ... نزلوا، أم حُفَراتٍ ورِغَاما
مطمئنين نفوساً كلَّما ... عبستْ كارثةٌ زادوا ابتساما

صـهوة العـز اعتـلوا بحسـبنهم جَمْـعَ امـلاكٍ عـلى الخيـلِ تسَـامى
رفعُـوا لولـبَها فـانْدفعتْ هـل رأيـتَ الطـيرَ قـد رَفَّ وحامـا
شـال بالأذنـاب كـلٌّ، ورمَـى بجنـاحَيه كمـا رُعـتَ النَعاما
ذهـبتْ تسـمو فكـانت أعقُـباً، فنسـوراً، فصُـقوراً، فحمامـا
تنـبرى زرقَ الأفـقِ كمـا سبَحَ الحـوتُ بدأمـاء وعَامـا
بعضُـها فـي طـلب البعضِ كمـا طـارَدَ النسْـرُ عـلى الجـوِّ القطامـا
ويـراها عـالِمٌ فـي "زُحَـلٍ" أرسـلتْ مـن جـانبِ الأرضِ سِـهَاماً
أو نجومـاً ذاتَ أذنـابٍ بـدت تـنذرُ النـاسَ نُشـوراً وقيامـا
إجعلوها رُسْـلَكم أهـلَ الهـوى تـنقلُ الأشـواقَ عـنكم والغَـراما
واستـعيروها جَـناحاً طالمـا شـغفَ الصـبَّ، وشـاقَ المسـتهاما
يَحمِـلُ المضـنى إلى أرضِ الهـوى يَمَنـاً حـلَّ هـواهُ أم شـآما
أركَـبُ الـليثَ ولا أركـبُها وأرى ليـثَ الشَـرى أوفـى ذمامـا
غـدَرت "جـيرونَ" لم تحفـلْ بـه ومـا حـاولَ مـن فـوزٍ وراما
وقعـتْ ناحيـةً فـاحترقتْ مـثل قـرصِ الشمسِ بـالأفق أضطراما

راضَـيها بـاليمنِ مـن طلعَتـه ... خيرُ مَن حَجَّ ومَن صلَّى وصاما
كخـليلِ اللهِ فـي حضـرته ... خرَّتِ النَّارُ خشوعاً واحتراما
ما "ليروجيه" صاعداً ما ينتهي ... أتُراهُ آثرَ الجوَّ فراما ؟
كلَّما دارَ به دورتَيه ... أبدتِ الريحُ امْتثالاً وارتساما
أنا لو نِلتُ الذي قد نالهُ ... منذ هبطتُ الأرضَ أرضاها مقاما
هل تُرى في الأرضِ إلاَّ جَسَداً ... ورياءً ونزاعاً وخصاماً ؟
مُلكُ هذا الجوِّ في منعَته ... طالما للنَّجمِ والطيرِ استقاما
حَسَدَ الانسانُ ربيه بما ... أوتيا في ذروة العزِّ اعتصاما
دخَلَ العِشُّ على أُنسُره ... أتُرى يَغشى من النَّجمِ السَّناما
أيها الشرقُ، انتبه من غفلة ... ماتَ مَنْ في طُرقاتِ السَّيلِ ناما
لا تقولنَّ عظاميٌّ أنا ... في زمانٍ كانَ للناسِ عصاما
شاقتِ العلياءُ فيه خَلَفاً ... ليس يألوها طِلاباً واغتناما
كلَّ حينٍ منهمْ نابغةٌ ... يفضلُ البدرَ بهاءً وتماما
خالقَ العصفور، حيَّرتَ به ... أُمماً بادوا وما نالوا المراما

أفنوا الـنقدين في تقليده ... وهو كالدرهم ريشاً وعظاما
أترى القوّةَ في جُؤجؤه ... وهو بالجؤجؤ ماض يترامى
أم تَراها في الخوافي خُفيَتْ ... أم مقرّ الحولِ في بعضِ القُدامى؟
أم ذنابـاهُ إذا حرّكهُ ... يَزنُ الجسمَ هُبُوطاً وقياما؟
أم بعينيهِ إذا ما جالتا ... تكشفانِ الجوّ غيثاً أم جهاما؟
أم بأظفارٍ إذا شبّكها ... نفذت في الريحِ دفعاً واستلاما؟
أم أمدّته بُروحٍ أمّهُ ... يومَ ألقتْهُ وما جازَ الفطاما؟
فتلقّاهُ أبٌ كم من أبٍ ... دونهُ في الناسِ بالوُلد اهتماما
فلكيٌّ هُوَ إلاّ أنّهُ ... لم يَنلْ فهماً، ولم يُعطَ الكلاما
طلْبةٌ قد رامَها آباؤنا ... وابتغاها من رأى الدّهر غُلاما
أسقطت "إيكارَ" في تجربة ... "وابنَ فرناسَ" فما اسْطاعا قياما
في سبيل المجد أودى نَفَرٌ ... شهداءَ العلم أعلاهم مقاما
خلفاءُ الرُسْلِ في الأرضِ هُم ... يبعثُ الله بهم عاماً فعاما
قطرةٌ من دَمِهم في مُلكه ... تملأُ المُلكَ جَمالاً ونظاما

رَبِّ، إنْ كــانت لخــيرٍ جُعِـلتْ ... فــاجعَل الخَــيرَ بــناديها لــزاما
وإنِ اعــتزَّ بهــا الشــرُّ غــداً ... فــتَعالت تَمطُــرُ المــوتَ الــزؤاما
فــاملإ الــجوَّ عليهــا رَجَمــاً ... رحمــةً مــنكَ وعَــدلاً وانتقــاما

❀❀❀

يــا "فرنســا" لاعدِمــنا منَــناً ... لــكِ عــندَ العــلمِ والفــنِّ جُســاما
لطــفَ اللهُ "بــبارِيسٍ" ولاَ ... لَقِيــت ألاَّ هــناءً وسَــلاما
روّعــت قلــبي خُطــوبٌ روَّعــتْ ... ســامِرَ الأحيــاءِ فيهــا والــنّياما (١)
أنــا لا أدعُــو عــلى "سَــينٍ" طغــى ... إن "للسّــينِ" وإن جــارَ ذِمامــا
لستُ بالناسي عليهِ عيشــةً ... كانتِ الشهدَ، وأحباباً كرامــا

---

(١) إشارة إلى طغيان نهر السين في سنة ١٩١٠.

آية العصر .. في سماء مصر

نظمت على اثر قدوم فدرين وبونيه طائرين من باريس إلى مصر سنة ١٩١٤.

يا "فرنسا" نلت أسباب السماء ... وتملكت مقاليد الجواء
غلب النسر على دولته ... وتنحى لك عن عرش الهواء
وأتتك الريح تمشي أمة ... لك يا بلقيس، من أوفى الاماء
روضت بعد جماح، وجرت ... طوع سلطانين: علم وذكاء
لك خيل بجناح أشبهت ... خيل جبريل لنصر الأنبياء
وبريد يسحب الذيل على ... برد في البر والبحر بطاء
تطلع الشمس فيجري دونها ... فوق عنق الريح أو متن العماء
رحلة المشرق والمغرب ما ... لبثت غير صباح ومساء
بسلاء الإنس والجن فدى ... لفريق من بنيك البسلاء
ضاقت الأرض بهم فاتخذوا ... في السموات قبور الشهداء
فتية يمسون جيران السها ... سمراء النجم في أوج العلاء

خُوِّنًا فوق جبال لم تكن ... للرياح الهوج يومًا بوطاء

لسليمانَ بساطٌ واحدٌ ... ولهم السفُنُ بساط في الفضاء

يركبونَ الشُّهبَ والسُّحْبَ إلى ... رفعة الذكر وعلياء الثناء

يا "نسورًا" هبطوا "الوادي" على ... سالف الحب، ومأثور الولاء

داركم مصرُ، وفيها قومُكم ... مرحبًا بالأقربينَ الكرماء

طرتم فيها فطارت فرحًا ... بأعز الضيف خير النُّزلاء

هل شجاكم في ثرى أهرامها ... ما أرقتم من دموعٍ ودماء

أين نسرٌ قد تلقى قبلكم ... عظة الأجيال من أعلى بناء

لو شهدتم عصرهُ أضحى لهُ ... عالَمُ الأفلاك معقودَ اللواء

جَرحَ الأهرامَ في عزَّتها ... فمشى للقبر مجروحَ الاباء

أخذت تاجًا بتاجٍ ثأرَها ... وجزت من صلف بالكبرياء

وتمنَّت لو حوت أعظمَهُ ... بين أبناء الشموس العُظماء

جلَّ شأنُ الله هادي خَلْقه ... بهدى العلم ونور العُلماء

زَفَّ مـن آياتِـه الكـبرى لـنا طلـبةً طـالَ بهـا عهـدُ الـرَّجاء
مـركبٌ لـو سَـلفَ الدَّهـرُ بـه كـان إحـدى مُعجـزاتِ القُدمـاء
نصـفُهُ طـيرٌ، ونصـفٌ بشـرٌ! يالهـا إحـدى أعـاجيب القضـاء
مُسـرَجٌ فـى كـل حـينٍ مُـلجَمٌ كـاملُ العـدَّةِ، مـرموقُ الـرواء
كبسـاطِ الـريحِ فـى القـدرةِ أو هُدهُـدِ السـيرةِ فـى صـدقِ البلاء
أو كحـوتٍ يـرتمى المـوجُ بـه سـابحٍ بـينَ ظهـورٍ وخفَـاء
راكـبٌ مـا شـاءَ مـن أطـرافه لا يـرى مـن مـركب ذى عـدَوَاء
مـلأ الجـوَّ فعـالاً، وغـدا عجـبُ الغـربانِ فيـه والحِـدَاء
وتـرى الشُّـحبَ بـه راعـةً مـن حديـد جُمعـت لا مـن رواء
حَمَـلَ الفـولاذَ ريشـاً، وجَـرى فـى عـنانين لـهُ: نـارٍ ومـاء
وجـناح غـير ذى قادمـة كجـناحِ الـنَّحلِ مصـقولٍ سـواء
وذُنـابى كـلِّ ريـحٍ مسَّـها مسَّـهُ سـاعقةٌ مـن كهـرباء
فـإذا جـازَ الـثريَّا للـثرى جَـرَّ كالطـاووسِ ذيـلَ الخَيـلاء
يمـلأ الآفـاقَ صـوتاً وصـدى كعـزيفِ الجـنِّ فـى الأرضِ العَـراء

أرسلتْهُ الأرضُ عنها خبراً طنَّ في آذانِ سُكَّانِ السماءِ

❁❁❁

يا شبابَ الغدِ، وابناىَ الفدى لكُم، أكرمْ وأعززْ بالفداءِ!
هل يمدُّ اللهُ لي العيشَ، عَسى أن أراكم في الفريقِ السعداءِ
وأرى تاجكمُ فوقَ السُّهى وأرى عرشكمُ فوقَ ذُكاءِ
من رآكم قالَ مصرٌ استرجعتْ عزَّها في عهدِ "خوفو" و"مناء"
أمَّةٌ للخلدِ ما تبني، إذا ما بَنى الناسُ جميعاً للعَفاءِ
تَعصمُ الأجسامَ من عادي البلى وتقي الآثارَ من عادي الفناءِ
إنْ أسأنا لكُمُ أو لم نُسِئْ نَحنُ هلكى فلكُم طولُ البَقاءِ
إنما مصرُ إليكم وبكم وحقوقُ البرِّ أولى بالقضاءِ
عصرُكم حُرٌّ ومستقبلُكُم في يمينِ اللهِ خيرِ الأُمناءِ
لا تقولوا حطَّنا الدّهرُ، فما هوَ إلاَّ من خيالِ الشُّعراءِ
هل علمتم أُمَّةً في جهلِها ظهرت في المجدِ حسناءَ الرداءِ
باطنُ الأمَّةِ من ظاهرِها إنما السائلُ من لونِ الإناءِ

فخـــذوا العـــلمَ عـــلى أعلامـــه   واطلـــبوا الحكمَـــة عـــند الحكمـــاء

واقـــرأوا تـــاريخكم واحـــتفظوا   بفصـــيحٍ جـــاءكم مـــن فُصَـــحاء

أنـــزلَ اللهُ عـــلى ألســـنهم   وَحْيَـــهُ فـــى أعصُـــرِ الوحـــيِ الوضـــاء

واحكمـــوا الدنيـــا بســـلطانٍ فمـــا   خُـــلقتْ نُضـــرتُها للضـــعفاء

واطلـــبوا المجـــدَ عـــلى الأرضِ، فـــإن   هـــيَ ضـــاقت فاطلـــبوهُ فـــى الســـماء

كرمة ابن هانئ

لشاعر أمير مصر ولع بشعر ابن هانى شاعر هارون الرشيد. وقد أطلق على مترله فى "المطرية" اسم "كرمة ابن هانى" وكان هذا المترل مزداناً بأبهج الزينات ليلة عودة سمو الخديوى من الحج فاتفق أن سموه مرَّ تلك الليلة أمام "كرمة ابن هانى" فالقى شاعره واقفاً على الباب فقال له:

"يا شوقى اعجبتنى قصيدتك كما أعجبتنى زينتك" مشيراً بذلك إلى قصيدة شاعره فى معارضة البوصيرى وهى التى سماها "طراز البردة"— فارتجل شوقى بك الأبيات الآتية كحاشية لطراز البردة المذكورة:

زيـن الملوكِ الصيد مَـرَّ بزينتى ... كـرَماً، وبـابَ الله طـاف بَبـابى
ياليلةَ القـدْرِ الـتى بُلغتُها ... مـا فيـك بعدَ اليـومَ مـن مُـرتابِ
مـا كُـنتُ أهـلاً للنوال، وإنمـا ... نفحـاتُ أحمدَ فـوقَ كـلِّ حسـابِ
لمـا بـلغتُ السؤلَ ليـلةَ مدحِـه ... بعثَ الملوكَ يُعظّمون جنابى
بَـدران: بـدرٌ فـى السـماءِ مُنوّرٌ ... وأخـوهُ فـوقَ الأرض نـورُ رحـابى
هـذا "ابن هـانى" نال ما قد نلت من ... حَسَـبٍ نَـدلُ بـه عـلى الأحسـابِ
قد كان يسعى للرشـيدِ ببـابِـه ... فسعى الرشـيدُ إليـه وهـو ببـابى

الرق والحرية

نظمت فى سياق خطاب لكنار محبوس فى قفص على أثر المقالات التى نشرتها "باحثة فى البادية" فى المرأة و الحجاب.

صَـــدّاحُ، يـــا مَـــلِكَ الكـــنا ـــــرِ ويـــا أمـــيرَ البُلـــبُلِ
قـــد فُـــزتُ مـــنكَ "بمعـــبَدٍ" ورُزقـــتُ قـــربَ "الموصِـــلى"
وأُتيـــحَ لى "داودُ" مـــز مـــاراً وحُسْـــنَ تـــرتلِ
فـــوقَ الأســـرَّة والمـــنا بـــرِ قـــطُّ لم تَـــتَرجَّلِ
تهـــتزُّ كالديـــنارِ فـــى مُـــرتجِّ لحـــظِ الأحـــوَلِ
وإذا خطـــرتَ عـــلى المـــلا عـــبِ لم تَـــدَعْ لممـــثِّلِ
ولـــكَ ابـــتداءاتُ الفَـــرزْ دَقِ فـــى مقـــاطعِ جـــروَلِ
ولقـــد تخـــذتَ مـــن الضُّـــحى صُـــفرَ الغلائـــلِ والحُـــلى
ورويـــتَ فـــى بيـــضِ القـــلا نس عـــن عَـــذارى الهيـــكلِ

يــاليتَ شــعرىَ! يـــا أَســيرُ شَـــج فـــؤادُكَ أم خَـــلى

وحـــليفُ ســـهد أم تَـــنا مُ الـــليلَ حـــتى يَنجـــلى

بالـــرغم مـــنى مـــا تُعـــا لـــجُ فـــى الـــنحاس المُقَفـــل

حرصْـــى عـــليكَ هـــوىً ومَـــنْ يُحـــرزْ ثميـــناً يـــبخل

والشـــحُّ تُحـــدثُـــهُ الضـــرو رةُ فـــى الجَـــواد المُجـــزل

❋❋❋

أنـــا أن جعلـــتُك فـــى نُضـــا ر بالحريـــــر مُجـــــلَّل

ولفقـــتُهُ فـــى سُوسَـــن وحففـــتُهُ بقـــرُنفل

وحـــرَقتُ أزكـــى العـــود حـــو لَيـــه، وأغـــلى الصـــندَل

وحملـــتُهُ فـــوقَ العيـــو ن وفـــوقَ رأس الجـــدوَل

ودعـــوتُ كـــلَّ أغـــرَّ فـــى مُـــلْك الطيـــور محجَّـــل

فأتـــتكَ بـــينَ مُطـــارحٍ ومحـــبّذ ومدلَّـــل

وأمـــرتُ بابـــنى فالـــتقا كَ بوجهـــه المتهـــلّل

بيميـــنه فـــالوذَجٌ لم يُهـــدَ "للمـــتوكّل"

وزجاجـــةٌ مـــن فضّـــة مملـــوءةٌ مـــن سَلسَـــل

ما كنتَ يا "صدّاح" عنـ ـــدَك بالكريم المفضل
شُهْدُ الحياة مشوبةٌ بالرَّق مثلُ الحنظل
والقبْـذُ. لو كان الجما نَ منظماً، لم يُحمَل

***

يا طيرُ، لولا أن يقو لوا جُنَّ قلتُ تعقّل
إسمعْ فربَّ مفصَّلٍ لك لم يُفدك كمُجمَل
صَبراً لما تشقى به! أو ما بدا لك فافعَل
أنتَ ابنُ رأي للطبيـ ـعة فيكَ غير مبدَّل
أبداً مروّع بالإسا ر مهدَّدٌ بالمقتَل
إنْ طرتَ عن كتفي وقعـ ـتَ على النسور الجُهَّل
يا طيرُ، والأمثال تضـ ـربُ للّبيب الأمثَل
دُنياك من عادتها أن لا تكونَ لأعزَل
أو للغبيّ، وإن تعـ ـلل بالزمان المُقبل
جُعلتْ لحرٍّ يُبتَلى في ذي الحياة ويَبتَلي
يَرمي ويُرمَى في جها د العيش غيرَ مُغفَّل

مُسْتجمع كالليث منا ... يُجهل عليه يَجهل
أسمعت بالحكمين في الـ ... إسلام يوم "الجندل"
في الفتنة الكبرى، ولو ... لا حكمة لم تشتعل
رضي الصحابة يوم ذ ... لك بالكتاب المنزل
وهمُ المصابيح الرُّوا ... ةُ عن النبيِّ المرسَلِ
قالوا الكتابُ وقا ... م كل مفتر ومؤول
حتى إذا وَسعتْ "معا ... وية" وضاق لها "على"
رجعوا لظلم كالطبا ... ئع في النفوس مؤصَّلِ
نزلوا على حُكم القو ... يّ وعند رأي الأحيَلِ

صدَّاحُ، حق ما أقو ... ل حفلتَ أم لم تحفل
جاورتَ أندى روضة ... وحللتَ أكرمَ منزل
بين الحفاوة من "حُسَيَ ... ن" والرّعاية من "على"
وحنان "آمنة" كأنّـ ... ك في صباك الأوّل (١)

(١) على وحسين وآمنة أولاد الشاعر.

صــــحْ بالصَّـــباح وبَشـــر　　　الأبـــنــاء بالمُســـــتقبَل
وأســـألْ لمصـــر عـــنايةً　　　تـــأتى وتهـــبطُ مـــن عَـــل
قـــلْ: رَبَّـــنا افـــتح رَحمـــةً　　　والخـــيرَ مـــنكَ فأرســـل
إدْركْ "كنانـــتَكْ" الكـــريــــ　　　ــمـــةَ رَبَّـــنا وتَقـــبَّـــل

باحثة البادية

فأجابه بعضهم ولعله حفني بك ناصف عن "باحثة فى البادية" يشير إلى حجال المرأة قال:

سَمَّيْتَنى مَلِكَ الكَنا وأنتَ ربُّ المنزل
وجعلتَنى رَهْناً لأقفاص الحديد المُقَفَل
وظننتَ صيحةَ لوعتى فى الأسْرِ صَدْحَ البُلبُلِ
قد كنتُ صدَّاحاً ولكن فى الزمانِ الأوَّلِ
فوقَ الغصونِ الناعماتِ على ضِفافِ الجدولِ
بين الرياضِ المزهراتِ بنرجسٍ وقُرُنفلِ
والطيرُ أصدحُ ما يكونُ على الغديرِ السَلسلِ
أنا باغمٌ لا صادحٌ مذ صرتُ رَهْنَ المعقلِ
عجباً! أتطربُ من نياحٍ من شَجِيٍّ مُعْولِ
عللتَنى وسجنتَنى خوف اصطياد الأجدَلِ
وزعمتَ أنَّكَ مانعى من باشقٍ أو أخيَلِ

إن لم تكنْ لي حارساً	من كلِّ عادٍ مُقبلِ
وتذودُ عني بالقنا	وتُصيبُ ذاتَ المقتلِ
فالحصنُ والبيداءُ يسـ	ـتويانِ عند الأعزلِ
والقفلُ ليس بمانعٍ	من كلِّ لصٍ أحولِ
كم من رسائلَ أرسلتْ	طيَّ النسيمِ المرسَلِ
كم من ذئابٍ قد عدَتْ	دون الرتاجِ المقفلِ
كم من نعاجٍ قد عُقِرْ	نَ بعقرِ دارٍ من عَلٍ
أنتَ القوى ملكتَني	وأراكَ لستَ بمرسلي
وأراكَ تقتلُني بحجَّـ	ـةِ حبِّكَ المستحَلِ
لو كانَ حبُّكَ صادقاً	لفككتَني من معقلي

حافظ إبراهيم

يقـــول الشعر، فى كل مكان يتفق له فيه أن يخلو بنفسه، ومن عادته دخول حديقة الأزكية بعد الظهر طلبا لتلك الخلوة، ولا يختلط عليه الفكر خلال الضجيج المحيط به.

يتعب فى قرض قريضه تعب النحات الماهر فى استخراج مثال جميل من حجره.

يؤثر الجزالة على الرقة وفيها آيات.

يطرق الموضوع فى الغالب من جوهره وربما نظم أكثر الأبيات قبل المطلع شأن الصانع القدير الذى يبدأ بأصعب ما بين يديه آمناً أن تهن عزيمته دون الإجادة بعد ذلك عالماً أن الكلام لابدّ أن يأتيه فى أى مقام طيعاً ولو بعد حين.

حاضــــر المحفوظ من أفصح أساليب العرب ينسج على منوالها ويتخير نفائس مفرداتها وأعلاق حلاها.

إذا صـــبّ الــــبيت فى قـــالب العروض أعاده نغماً على سمعه

مستشيراً بذلك ذوقه عن طريق أذنه وطالما صدقته الأذن بنصيحتها. أمـــا تغنيه فبدوى أخذه عن الشيخ عبد المحسن الكاظمى وطريقته أن ينطق بالكلمات ملحنة تلحيناً.

لـــه غرام باللفظ لا يقل عن الغرام بالمعنى. وفى أقصى ضميره يؤثـــر البيت المجاد لفظاً على المجاد معنى. فإذا فاته الابتكار حيناً فى التصـــور لم يفته الابتكار حيناً فى التصوير، أولع بالاجتماعيات فقال فيها وأجاد ما شاء.

كـــبير الآمـــال عاثر الجد تجد على أكثر منظومه أثراً من ألم الـــنفس أو مسحة من الشكوى وتحمل بعض حروفه من بثه ما يلذع لذع النار الكامنة فى غير متقد.

فهـــو على الجملة أحد الثلاثة الذين هم نجوم الأدب العربى فى مصر لهذا العصر ولكل من تلك النجوم منزلته وإضاءته وأثره الخالد

أما شعره فشعر البيان وإن من البيان لسحراً

خليل مطران

مجلة الزهور ١٩١٤

الأم مدرسة

كم ذا يُكابدُ عاشقٌ ويُلاقي ... في حبّ مصرَ كثيرة العشّاق
إني لأحملُ في هواك صبابةً ... يا مصرُ، قد خرجت عن الأطواق
لهفي عليك! متى أراك طليقةً ... يحمي كريمَ حماك شعبٌ راقِ
كَلِفٌ بمحمود الخلال، متيّمٌ ... بالبذل بين يديك والإنفاق
إني لتُطربني الخِلالُ كريمةً ... طربَ الغريب بأوبةٍ وتلاقِ
ويهزُّني ذكرُ المروءةِ والندى ... بين الشمائل هزّةَ المشتاق
ما البابليّةُ في صفاء مزاجها ... والشربُ بين تنافسٍ وسباق
والشمسُ تبدو في الكؤوس وتختفي ... والبدرُ يشرقُ من جبين الساقي
بألذَّ من خُلُقٍ كريمٍ طاهرٍ ... قد مازجتْهُ سلامةُ الأذواق
فإذا رُزقتَ خليقةً محمودةً ... فقد اصطفاكَ مُقسّمُ الأرزاق
فالناسُ هذا حظُّهُ مالٌ، وذا ... علمٌ، وذاك مكارمُ الأخلاق
والمالُ، إن لم تَدَّخرْهُ محصّناً ... بالعلم، كان نهايةَ الإملاق

والعلم، إن لم تكتنفه شمائلٌ ... تُعليه كان مطيَّةَ الإخفاقِ
لا تحسبنَّ العلمَ ينفعُ وحدَهُ ... ما لم يُتوَّجْ ربُّهُ بخلاقِ
كم عالمٍ مدَّ العلومَ حبائلاً ... لوقيعةٍ وقطيعةٍ وفراقِ
وفقيهِ قومٍ ظلَّ يرصدُ فقهَهُ ... لمكيدةٍ أو مستَحَلِّ طلاقِ
يمشي، وقد نُصبتْ عليه عمامةٌ ... كالبرجِ لكن فوق تلٍّ نفاقِ
يدعونه عند الشقاق، وما دَرَوا ... أنَّ الذي يدعونَ حلفُ شقاقِ
وطبيبِ قومٍ قد أحلَّ لطبِّه ... ما لاتحلُّ شريعةُ الخلاّقِ
قتلَ الأجنَّة في البطونِ، وتارةً ... جمعُ الدوانقِ من دمٍ مهراقِ
أغلى وأثمنُ من تجاربِ علمه ... يومَ الفخارِ تجاربُ الحلاقِ
ومهندسٍ للنيلِ باتَ بكفِّهِ ... مفتاحُ رزقِ العاملِ المطراقِ
متعنِّتٍ تندى وتيبسُ كفُّهُ ... بالماءِ طوعَ الأصفرِ البرّاقِ
لا شيءَ يلوي عن هواه، فحدُّهُ ... في السلبِ حدُّ الخائنِ السرّاقِ
وأديبِ قومٍ تستحقُّ يمينُهُ ... قطعَ الأناملِ أو لظى الإحراقِ
يلهو ويلعبُ بالعقولِ بيانُهُ ... فكأنَّهُ في السحرِ رقيةُ راقِ

فــى كفّــه قــلمٌ يمــجّ لعابــهُ   سُــمًّا وينفــثهُ عــلى الأوراقِ
يَــردُ الحقــائقَ وهــى بيــضٌ نُصّــعٌ   قدســـيةٌ عـــلويّةُ الإشـــراقِ
فيردُّهــا ســوداً عــلى جَنَـباتها   مــن ظـلمة الـتّمويه إلـفَ نطـاقِ
عَــريتْ عــن الخـلق المطهّـرِ نفسُــهُ   فحياتــهُ ثقــلٌ عــلى الأعــناقِ
لو كــان ذا خُلــقٍ لأسعــدَ قومَهُ   ببيــانه ويــراعِـه الســبّاقِ

❊❊❊

مَــنْ لى بتربيــة النســاء فإنّهــا   فــى الشــرق عــلّةُ ذلـك الإخفــاقِ
الأمّ مدرســـــةٌ إذا أعددتَهـــــا   أعــددتَ شــعباً طيّــبَ الأعــراقِ
الأمُّ روضٌ، إن تعهّــــدهُ الحيــــا   بالــــرىّ، أورقَ أيمــــا إيــــراقِ
الأمُّ أُســـــتاذُ الأســـــاتذة الأُلى   شــغلت مآثــرُهم مــدى الآفــاقِ
أنــا لا أقــولُ: دعــوا النســاءَ ســوافراً   بــين الــرجال يجُلْــنَ فــى الأســواقِ
يدرُجْــنَ حيــث أردنَ، لامــن وازعٍ   يحــذرنَ رقبتَــهُ، ولا مــن واقِ
يفعلــنَ أفعــالَ الــرجال لواهيــا   عــن واجبات نواعــسِ الأحــداقِ
فــى دُورهــنّ شــؤونُهنّ كــثيرةٌ   كشــؤون ربّ الســيفِ والمــزراقِ

كـــلاَّ، ولا أدعوكُـــم أن تُســـرفوا فـــى الحُجُـــب والتضـــييق والإرهـــاقِ
ليســـتْ نســـاؤكم حـــلّىً وجواهـــراً خَـــوفَ الضـــياع تُصـــانُ فـــى الأحقـــاقِ
ليســـتْ نســـاؤكُمْ أثاثـــاً يُقتـــنى فـــى الـــدُّورِ بـــين مخـــادعٍ وطـــباقِ
تتشـــكَّلُ الأزمـــانُ فـــى أدوارهـــا دُوَلاً، وهـــنَّ عـــلى الجمـــود بـــواقِ
فتوسَّـــطوا فـــى الحالـــتَين، وأنصـــفوا فالشـــرُّ فـــى الـــتقييد والإطـــلاقِ
ربُّـــوا البـــنات عـــلى الفضـــيلة، إنهـــا فـــى الموقفَـــين لهـــنَّ خـــيرُ وثـــاقِ
وعليكمُ أن تَســـتبِـــينَ بناتُكـــم نورَ الهدى وعـــلى الحيـــاءِ البـــاقى

خيبة الأمل

وخَيَّبَ آمالى وقُوفُك دونها   وأنَّكَ عندَ الظالمينَ مكينُ
يسرُّكَ أنى نائمُ الجِدّ عاثرٌ   ويُرضيكَ أنّى للخطوبِ ألينُ
لِيَهْنِكَ ما بى من أسًى وخصاصةٍ   وتقليبىَ الكفَّيْنِ حيثُ أكونُ

شكوى المتيم

كـم تحـتَ أذيـالِ الظَّـلامِ مُـتيَّمُ   دامـى الفـؤادِ وليـلُهُ لا يَعـلَمُ
مـا أنـتَ فـى دُنيـاكَ أوَّلُ عاشـقٍ   راميـه لا يحـنو ولا يَترحَّـمُ
أهْرمْتَنى بـالَيلُ فـى شرخِ الصِّبى   كـم فيـكَ سـاعاتٌ تُشـيبُ وتُهـرِمُ
لا أنـتَ تَقصـرُ لى ولا أنـا مُقصـرٌ   أتعبتَـنى وتعـبتَ، هـل مـن يحكـمُ؟
لله مـوقفـنا وقـد ناجيتُـها   بعظيمِ ما يخفى الفـؤادُ ويكتم

قـالت مَـنِ الشـاكى؟ تسـائلُ سِـرْبَها   عـنّى – ومَـن هـذا الـذى يتظـلَّمُ؟
فأجبـنها وعجـبنَ كيـفَ تجاهـلتْ   هـوَ ذلـكَ المـتوجّعُ المـتألِّمُ
أنا مَن عَـرفتِ ومَـن جهلت ومَـن لـهُ   لـولا عيونُـكِ حُجَّـةٌ لا تُفحَـمُ
أسـلمتُ نفسـى لـلهوى وأظنُّـها   مِمّـا يُجشـمُها الهـوى لا تَسـلَمُ
وأتيتُ يحدو بى الـرجاءُ ومَـن أتـى   مـتحرِّماً بفـنائكم لا يُحـرَمُ
أشـكو لـذاتِ الخـالِ مـا صـنعت بنا   تـلكَ العيـونُ ومـا جـناهُ المعصَـمُ

لا السهم يرفقُ بالجريح، ولا الهوى ... يُبقى عليه، ولا الصبابةُ ترحَمُ
لو تنظُرينَ إليه فى جَوف الدُّجى ... مُتململاً من هول ما يتجشَّمُ
يَمشى إلى كنف الفراش محاذراً ... وَجلاً يؤخر رجلهُ ويقدّمُ
يَرمى الفراشَ بناظرَيه، وينثنى ... جَزَعاً، ويُقدمُ بعدَ ذاك ويُحجمُ
فكأنَّهُ واليأسُ ينسفُ نفسَهُ ... للقتلِ فوقَ فراشهِ يَتقدّمُ
رُشقت به فى كلِّ جَنب مديةٌ ... وانسابَ فيه بكلِّ رُكنٍ أرقمُ
فكأنَّهُ فى هَولهِ وسَعيره ... وادٍ قد اطّلعَتْ عليه جهنّمُ
هذا وَحقِّك بعضُ ما كابدتُهُ ... من ناظرَيك، وما كتمتُك أعظمُ
قالت: أهذا أنتَ؟ ويحكَ فاتئذْ ... حتى مَ تنجدُ فى الغرام وتُتهِمُ
كم نفثةٍ لك تستثيرُ بها الهوى ... هاروتُ فى أثنائها يَتكلّمُ
إنّا سَمعنَا عنكَ ما قد رَابنَا ... وأطالَ فيك وفى هواكَ اللوّمُ
فاذهبْ بسحرك قد عرفتُكَ واقصدْ ... فيما تُزيّنُ للحسانِ وتوهمُ
أصغت إلى قول الوشاة فأسرَفت ... فى هجرها، وجنَت عليَّ، وأجرموا
حتّى إذا يَئس الطبيبُ وجاءهَا ... أنّى تلفتُ تندّمتْ وتندّموا
وأتت تعودُ مريضَها لا بل أتت ... منّى تشيّعُ راحلاً لو تعلمُ

لوعة وأنين

أنا في يأسٍ وهمٍّ وأسى   حاضرُ اللَّوعةِ موصولُ الأَنينْ
مستهينٌ بالذي لاقيتُهْ   وهو لا يدري بماذا يَستهينْ
صُوَرٌ عندي له مكتوبةٌ   وَدَّ لو يسرى بها الرُّوحُ الأَمينْ
إنني لا آمنُ الرُّسلَ، ولا   آمنُ الكُتُبَ على ما يحتوينْ

لا فتى إلا على

رثاء المرحوم على باشا أبو الفتوح وكيل نظارة المعارف

جَلَّ الأسى فتجمَّلى ... وإذا أَبَيْتِ فأَجْمِلى
يا مصر قد أودى فتا ... كِ ولا فتى إلا على
قد مات نابغة القضا ... ءِ وغابَ بدرُ المحفلِ
وعدا القضاءُ على القضا ... ءِ فصابَهُ فى المقتلِ
حلّالُ عقد المعضلا ... تِ قضى بداءٍ مُعضِلِ
ويحَ الكنانة ما لها ... فى غمرة لا تنجلى
باتت وكارثةٌ تمرُّ بها وكارثةٌ تلى

***

يا زهرةَ الماضى ويا ... ريحانةَ المستقبَلِ
كنّا نُعِدُّكَ للشدا ... ئدِ فى الزمانِ المُقبلِ

يــــا لابــــسَ الخُــــلق الكـــــريم المطمــــــئنّ الأمـــثل
فـارقتَــنا فـــى حـــينِ حـــا جتِـــــنا ولم تـــــتمهَّـــلِ
يــــا راميــــاً صـــدرَ الصـــعاب رمـــاك رامـــى الأجـــدل
يـــا حافظـــاً غيـــبَ الصـــديق ويــــا كـــريمَ المقـــوَل
أيُّ المحــــامد غَضَّـــــةً بجـــــلاكَ لم تـــــتجمَّل
تـــلهو لداتُـــكَ بالصِّـــبى لهـــواً وأنـــت بمعـــزَلِ
تســـــعى وراءَ الــــباقيا ت الصــــالحات وتعتَـــلى
بـيـن المــحابـر والـدفـا تــرِ دائبـــاً لاَ تـــأتـلـى
أدركـــتَ عـــلم الآخـــرين وحـــزْتَ فضــــلَ الأوَّل
أدنـــيِ مـــرامك همَّـــةٌ فـــوقَ الســماك الأعـــزلِ
وأجـــلُ قصـــدكِ أن تـــرى مصـــراً تســـودُ وتعتــلى
دَرَجَ الأحـــبَّة بعـــد مـــا تـــركوا الأســى والحــزنَ لى
لم يحـــلُ لى مــــن بعدهـــمِ عيـــشٌ وَلم أتعـــلَّل
لى كــــلِ عـــامِ وقفـــةٌ حـــرَّى عــــلى مترحَّــلِ
أبكـى بكـــاءَ الثـــاكـــلا تِ وأصطلـــى مـــا أصطـلـى

لم يبقَ في يوم الفقيد عزيمةٌ لم تفلل

يومٌ عبوسٌ قد مضى　　بفتىً أغرَّ محجَّلِ

من لم يشاهدْ هولَهُ　　عند القضاءِ المنزَلِ

لم يدرِ ما قصْمُ الظهو　　رِ ولا انخذالُ المفصِلِ

٭٭٭

يا قبرُ ويحك ما صعذ　　تَ بوجهه المتهلّلِ

عبّسْتَ منهُ نضارةً　　كانتْ رياضَ المجتلَى

وعبثْتَ منهُ بطرّةٍ　　سوداءَ لما تنصُلِ

يا قبرُ هل لعبَ البلى　　بلطاف تلك الأنمُلِ

لهفي عليها في الطرو　　س تسيلُ سيلَ الجدولِ

لهفي عليها في الجدا　　ل تحلُّ عقدَ المشكلِ

لهفي عليها للرجا　　ءِ وللعفاة السؤّلِ

يا قبرُ ضيفكَ بيننا　　قد كانَ خيرَ مؤمَّلِ

لم ينقبضْ كبراً بنا　　ديه ولم يتبذّلِ

أني حللتُ رحابَهُ　　فنزلتُ أكرمَ منزلِ

ونهلتُ من أخلاقهِ　　فوردتُ أعذبَ منهلِ

فؤاد (حافظ)

يـا خَافقـاً قُـلْ لى مـتَى تسـكُنُ؟ ... للهِ! مـا تُخفـى ومَـا تُعـلنُ
يـاليتَ شـعرى عـنكَ فـى أضـلُعى ... مَـاذا تُقاسـى أيُهـا المُـثْخَنُ؟
ومـا الـذى أبقـاهُ مِـنْ مهجـتى ... ومِـنْ حيـاتى داؤكَ المُـزمِنُ
يـا ثَغـرَهُ، مـن ذا الـذى يحتَسـى ... بَـردَ ثـناياكَ ولا يُؤمـنُ
يـا قَـدَّهُ، هـذى قـلوبُ الـورى ... معروضـةٌ، طوبـى لمـن تَطْعَـنُ
يـا لحظَـهُ مُـرْنا بمـا تَشـتَهى ... كُـلُّ مُحـالٍ فـى الهـوى مُمكـنُ

عيد الفداء

لما عفا سموّ الأمير يوم عيد جلوسه الميمون فى سنة ١٩٠٨ عن مسجونى حادثة دنشواى الشهيرة نشر إسماعيل صبرى باشا قصيدة يهنىء بها سموه بالعيد، ويذكر له بالشكر نعمة ذلك العفو. فاستفزت هذه القصيدة شاعرية شوقى بك فنظم قصيدة فى المعنى نفسه، وتلاهما بثالثة حافظ بك إبراهيم. وهذه هى القصائد الثلاث:

قصيدة إسماعيل صبرى

لـــو أنَّ أطـــلالَ المــنازلِ تَـــنطقُ ... مـــا ارتـــدّ حَـــرّانَ الجوانــحِ شَـــيّقُ
هـــل عـــندَ ذاكَ الســـربِ أنّـــا بَعـــدَهُ ... فـــى الحـــىّ مـــنْ آماقـــنا نـــتدفقُ
أو أنّ أضـــلُعَنا عـــلى مـــا اســـتُودعَتْ ... يـــومَ الفـــراقِ مـــنَ الجـــوى تـــتحرقُ
أمـــنازلَ الأقمـــار، أهـــلُكَ أســـرفوا ... فـــى النـأى إســـرافَ الغـــنىّ وأغـــرقوا
لو أنّهـم قـــد أنصفـــوكِ مَنـــازلاً ... ما حازهم فى الكونِ بَعدَكِ مَشـــرقُ

عيدَ الفداء، ألا سَعدتَ بسُدَّة ... أمسى يُحيطُ بها الجلالُ ويُحدقُ
هلاَّ رأيتَ بعابدينَ معَ الملاَ ... مَلكاً خلائقُهُ تضوعُ وتعبَقُ
وجمعتَ من تلكَ الشمائل طاقةً ... تزدانُ أيَّاماً بها وتَتخلقُ
ورجعتَ من نور الأمير مزوَّداً ... حتَّى تعودَ وأنتَ زاهٍ مُشرِقُ

❁❁❁

أحرزتَ يا عبَّاسُ، كلَّ فضيلة ... وبلغتَ شأواً في العلا لا يُلحقُ
من ذا يجاري أخمصَيكَ إلى مَدًى ... وهواكَ سبَّاقٌ، وعَزمُكَ أسبَقُ
إن يُرتجل عرْفٌ فأنتَ إلى الذي ... لم يَرتجلهُ المالكونَ موفقُ
سدَدْ سهامَ الرأي بالشُورى يَحط ... بكَ منهُ في ظلمِ الحوادث فيلقُ
واسبقْ به، واضربْ به، وافتحْ به، ... ما شئتَ من بابٍ أمامَكَ يُغلقُ
عَوذتُ مجدَكَ أن تنامَ وفي الحمي ... أملٌ عقيمٌ، أو رَجاءٌ مُخفقُ
ولربَّ محلٍ في النُهى متَحكمٍ ... قد كادَ يخترمُ النفوسَ ويُوبقُ
أرسلت فيهِ نظرةً ضمنَ الحجي ... والعلمُ نصرتها، وقلبٌ مُشفقُ
وأخذتَ رأيَ أُلي النهى مستوثقاً ... مستوزراً، وكذا الحكيمُ يدققُ
حتى اهتديتَ إلى الصواب ولم يَزلْ ... بينَ الصواب وبينَ رأيكَ موثقُ
وأهبتَ فابتكرَ النضارُ سحائباً ... تهمي وتفتقدُ المحيلَ وتغدقُ

إن أمرَعت تلكَ الموتُ وأورقت فيها الرياضُ فإأنما لكَ تُورقُ

❊❊❊

وأقلتَ عثرةَ قريةٍ حكَم الهوَى في أهلها وقَضى قَضاءٌ أَخرَقُ
إن أنَّ فيها بائسٌ مما به وأرنَّ، جاوَبهُ هناكَ مُطوَّقُ
وارحمتا لجناتهم! ماذا جنَوا؟ وقضاتهم ما عاقَهم أن يتَّقوا؟
ما زال يقذى كلَّ عينٍ ما رأوا فيها ويؤذى كلَّ سمعٍ ما لقوا
حتى حكمتَ فجاءَ حكمُك آيةً للناس طيَّ صحيفة تتألقُ
شَكرتك مصرُ على سلامةِ بعضها شُكراً يُغرّبُ في الوريِ ويُشرّقُ
ذكَرت لك الصفحَ الجميلَ ولم تزلْ ترمى إلى أمرٍ أجلَّ وترمقُ
قانونُ دنشاوايَ ذاك صحيفة تُتلى فترتاعُ القلوبُ وتخفقُ
هل يُرتجى صَفوٌ، ويهدأ خاطرٌ والموتُ بين نصوصها يترقرقُ؟
ومضاجعُ القومِ النيامِ أواهل بمعذبٍ يُردَى وآخرَ يُرهقُ
لن تبلغ الجرحى شفاءً كاملاً ما دامَ جارحُها المهنّد يبرق
فاحكمْ بغيرِ العنفِ، واكسرْ سيفَهُ؛ فالحلمُ أجملُ، والمكارمُ أليقُ

❊❊❊

قصيدة أحمد شوقي

لك مصرُ ماضيها وحاضرُها معاً ... ولك الغدُ المتحتّمُ المتحقّقُ
والله عونُك إن ركبتَ إلى العلا ... طُرقاً تضلُّ بها الهُداةُ وتَفْرَقُ
والأمرُ أمرُكَ لا يُشابُ بريبةٍ ... والحكمُ حكمُك والالهُ مصدّقُ

أمّا العتابُ فبالأحبّة أخلقُ ... والحبُّ يَصلحُ بالعتابِ ويَصدُقُ
يا مَنْ أحبُّ ومن أجلُ، وحسبُهُ ... في الغيدِ منزلةً يُجَلُّ ويُعشَقُ
البعدُ أدناني إليكَ فهلْ ترى ... تقسو وتنفرُ؟ أمْ تلينُ وترفقُ؟
في جاهِ حُسنِكَ ذلتي وضراعَتي ... فاعطفْ فذاكَ بجاهِ حُسنكِ أليَقُ

❊❊❊

خَلَقَ الشّبابُ ولا أزالُ أصونُهُ ... وأنا الوفيُّ مودّتي لا تَخلَقُ
صاحبتُهُ عشرينَ غيرَ ذميمةٍ؛ ... حالي بهِ حالٌ، وعَيشي مُونِقُ
قلبي، أذكرتَ اليومَ غيرَ موفَّقٍ ... أيامَ أنتَ معَ الشبابِ مُوفَّقُ
فخففتَ من ذكرى الشبابِ وعهدهِ ... لهفي عليك! لكلِّ ذكرى تخفقُ

كم ذبتَ من حُرَق الجوى واليومَ من ... أسَفٍ عليه وحسرة تتحرّق
كنتَ الشباكَ وكانَ صَيدا للصّبى ... ما تسترق مِن الظباء وتعتق
خَدَعتْ حبائلكَ الملاحَ هُنية ... واليومَ كل حبالة لا تعلق
هل دونَ أيامِ الشّبيبةِ للفتى ... صَفوٌ يُحيط به وأنسٌ يحدق؟

❊❊❊

عبّاسُ حكمُكَ فى الرّقاب مقيَّدٌ ... سمحٌ، فأمّا فى القلوب فمطلق
أنى اتجهتَ توجَّهتْ مشغوفة ... هذا الجلال زمامُها والرَّونق
ألعيدُ من رُسُل العناية فاغتبط ... بصنوف ما حمل الرسول الشيّق
الناسُ تنحرُ، والصّلاةُ مُقامة، ... وعداكَ يُنحَرُ جمعُهم ويمزَّق
بكرَ الأذانُ مُحيّيا ومهنّئا ... ودَعا لكَ الناقوسُ فيما يَنطق
أثنى الخطيبُ عليك قبل صلاته ... وأجلّ ذكركَ فى الصّلاة البَطرَق

❊❊❊

تُزجى الفيالقَ، والقلوبُ خوافقٌ ... فوق الجنود، فكل قلب فيلقٌ
فى موكب لفتَ الزمانَ جلالُهُ ... يزهو بالآلاء العزيز ويُشرق
الأرضُ حاليةُ الوجوه بنوره ... والشمسُ غيرَى تجتليه وترمق
والرّوحُ بكلأ، والملائكُ حُرّسٌ ... وعنايةُ الله الحفيظ تحلّق

حتّى حَلَلتَ "بعابدينَ" فحلّها ... سَعدُ الدّيارِ وبدرُها المتألقُ
في كلِ إيوانٍ وكلِ خميلةٍ ... ساحٌ ميمّمَةٌ، وبابٌ يُطرَقُ
خَلقٌ على قدَمِ المهابةِ ماثلٌ ... في سدّةِ العزّ المنيعةِ مُطرِقُ
حتى إذا رُفعَ الحِجابُ تدفقوا ... يتشرّفونَ براحةٍ تتدفقُ
وتعارَضتْ فيكَ القرائحُ وأنبرى ... لأبي نواسَ البحتريُّ المفلقُ (١)
عَلمانِ في يدكَ الكريمةِ منهما ... ويدي أبيكَ أبي المكارمِ مَوثقُ
لما عفوتَ، وكانَ ذلكَ شيمةً، ... طرِبا وهزّهما السّجينُ المطلقُ
في ذمةِ اللهِ الكريمِ وحفظِهِ ... أمَلٌ بعرشكَ للبلادِ مُعلقُ

(١) يريد بأبي نواس الشاعر إسماعيل صبري .

قصيدة حافظ إبراهيم

سَكَنَ الظَّلامُ وباتَ قلبُكَ يَخفقُ ... وسطا على جنبيكَ هَمٌّ مُقلقُ
حارَ الفراشُ وحرتَ فيه، فأنتما ... تحتَ الظلامِ معذَّبٌ ومؤرَّقُ
دَرجَ الزمانُ وأنتَ مفتونُ المُنى ... ومَضى الشَّبابُ وأنتَ ساهٍ مطرِقُ
عجباً يَلذُّ لكَ السكوتُ مع الهوى ... وسواكَ يبعثُهُ الغَرامُ فَينطقُ
خُلِقَ الغَرامُ لأصغرَيكَ، وطالما ... ظَنُّوا الظنونَ بأصغريكَ وأغرقوا
ورَمَوكَ بالسلوى ولو شَهدُوا الذى ... تطويه فى تلكَ الضلوعِ لأشفقوا
أخفيتَ أسرارَ الفؤاد وإنما ... سرُّ الفؤادِ من النواظرِ يُسرَقُ
نَفّسْ بربّكَ عن فؤادِكَ كربَهُ ... وارحمْ حشاكَ فإنَّها تتمزّقُ
واذكرْ لنا عهدَ الذينَ بنأيهم ... جمعوا عليكَ همومَهم وتفرّقوا
ما للقوافى أنكرتكَ، ولم تكنْ ... لكسادِها فى غيرِ سوقِكَ تنفقُ
ما للبيانِ بغيرِ بابِكَ واقفاً ... يَبكى ويعجلهُ البُكاءُ فيشرِقُ

إنــى كهمّــكَ فــى الصــبَّابة لم أزلْ ... ألهــو وأرتجــلُ القــريضَ وأعشَــقْ
نفســـى بـــرغْمِ الحادثـــات فـــتيَّةٌ ... غُـودى عـلى رُغـمِ الكـوارث مُـورِقْ
إنَّ الــذى أغــرى الســهادَ بمقلــتى ... مُتعـــنتٌ قلـــبى بـــه متعـــلقْ
واثقـــــتُهُ ألاّ أبـــــوحَ وإنمـــــا ... يــومَ الحســـابِ يُحَـلُّ ذاكَ الموثــقْ
وشـــقيتُ منـــهُ بقـــربه وبعـــاده ... وأخـــو الشـــقاء إلى الشـــقاء مُوفـــقْ
صـاحبتُ أســبابَ الرّضــى لـركوبه ... متنَ الخـــلاف لمـــا بـــه أتخـــلقْ
وصـبرتُ منـهُ عـلى الـذى يعيَـى بـه ... حــلمُ الحــليمِ ويــتقيه الأحمــقُ
أصـبحتُ كالدهـرىِّ أعـبدُ شَـعرَهُ ... وجبيـــنَهُ وأنـــا الشـــريفُ المعـــرقُ
وغـدوتُ أنـــظمُ مـــن ثنايا ثغره ... دُرَرًا أقـــلّدُها المهـــى وأطـوّقُ

"صبرى" استثرت دفائنى وهززتنى ... وأريتـنى الإبـداعَ كيـفَ ينسَّـقُ
فـأبحتَ لى شـكوى الهـوى وسـبقتنى ... فـى مـدح "عـبَّاس" ومثلُك يَسـبقُ
قـال الـرئيسُ فمـا لقـول بعـدَهُ ... بـاعٌ تطـولُ ولا لمـدحٍ رونـقُ
"شَوقى" نسبتَ فما ملكتُ مدامعى ... مـن أن يسـيل بهـا النسـيبُ الشـيّقُ

أعجــزت أطــواقَ الأَنــامِ بمدحــة ســـجدَ الــبيانُ لــربّها والمَــنطقُ
لم تتركــا لى فــى المدائــح فضــلةً يجرى بهـا قَـلمى الضَـعيفُ وَيَـلحقُ
نفســى عــلى شــوقٍ لمــدحِ أميرِهــا وَيراعــتى بــينَ الأنــامل أشــوَقُ
مــاذا أقــول وأنــتما فــى مدحــه بحــرانِ بــاتَ كلاهمــا يَــتدفقُ
العجــزُ أقعــدنى وإنّ عــزائمى لــولا كمــا فــوقَ السـماكِ تحـلِّقُ
فلُيهــنىء "العــبّاسَ" أنّ بكفِّــه عَــلمين هــزّهما الــوَلاء المُطلقُ
وليــبقَ ذخــراً للــبلاد وأهــلها يعفــو ويــرحمْ مــن يَشــاءُ وَيعــتقُ
عــبّاسُ والعيــدُ الكــبيرُ كلاهمــا مــتألقٌ بإزائـــه مــتألقُ
هــذا لــه تجــرى الدمــاءُ وذا لــهُ تجـرى القـرائحُ بـالمديحِ وتعـنقُ
صـدقَ الـذى قـد قـال فيـه، وحسـبُهُ أنّ الـزمانَ لمـا يقـول مُصـدّقُ:
"لكَ مصـرُ ماضِيها وحاضِرُها معاً ولــكَ الغــدُ المتحــتّمُ المــتحقّقُ"

يا ليل الصب

ضمّ مجلس طرب سعادة شاعر الأمير أحمد شوقى بك وطائفة من الأدباء فغناهم مغنيهم القصيدة الشهيرة التى مطلعها "ياليل الصبّ" فطرب لها الحاضرون وسألوا شوقى بك أن يعارضها ففعل ونشرت مجلة الزهور معارضته مقترحة على الشعراء أن يحذوا حذوه فنظم فى ذلك إسماعيل صبرى باشا ولىّ الدين بك يكن ثمّ الأمير نسيب أرسلان. أما الأبيات الأصلية فهى لأبى الحسن الحصرى والمولود فى القيروان والمتوفى فى الأندلس سنة ٤٨٨هـ. وهى هذه:

يا ليلُ الصبّ متى غَدُهُ ... أقيامُ الساعة موعدُهُ
رَقَدَ السُمّارُ وأرّقَهُ ... أسَفٌ للبَيْنِ يُرَدِّدُهُ
فبكاه النجمُ ورقّ لهُ ... ممّا يَرعَاهُ ويرصدُهُ
نَصَبَتْ عيناىَ لهُ شَرَكاً ... فى النومِ فعزّ تصيُّدُهُ
صاحٍ والخمرُ جنى فَمِه ... سكرانُ اللحظ مُعربدُهُ
يا مَنْ سفكتْ عيناهُ دَمى ... وعلى خَدَّيه تورُّدُهُ

خدَّاكَ قد اعترفا بدَمي   فعلامَ جفونُكَ تجحدُهُ
بالله هَبِ المشتاقَ كرًى   فلعلَّ خيالَكَ يُسعدُهُ
لم يُبقِ هواكَ به رَمَقًا   فلْيَبكِ عليه عُوَّدُهُ
وغداً يقضى أو بعدَ غدٍ   هَلْ مِن نظرٍ يَتزوَّدُهُ

أبيات أحمد شوقى

أبيات شوقى بك

مُضنــاكَ جَفــاهُ مــرقدُهُ — وبَكــاهُ ورَحَّــمَ عُــوَّدُهُ
حَــيرانُ القَــلبِ معذَّبــهُ — مقــروحُ الجفــنِ مُســهَّدُهُ
أودى حَــرَقاً إلا رَمَقــاً — يُــبقيه عــليكَ وتُــنفدُهُ
يســتهوى الــوُرْقَ تأوُّهــهُ — ويُذيــبُ الصــخرَ تَــنهُّدُهُ
ويُــناجى الــنجمَ ويَتــبعُهُ — ويُقيــمُ الــلّيلَ ويُقعــدُهُ
ويُعــلِّم كُــلّ مُطوَّقــةٍ — شَــجَناً فــى الــدَّوحِ تُــردّدُهُ
كــم مــدَّ لطيفِــكَ مــن شَــرَكٍ — وتــأدَّبَ لا يتصــيَّدُهُ
فعســاكَ بغمــضٍ مُســعفُهُ — ولعــلَّ خيــالكَ مُســعدُهُ
الحســنُ حــلفتُ "بيوسُــفهِ" — و "الســورة" أنَّــكَ مفــردُهُ
قــد ودَّ جمــالكَ أو قبســاً — حــوراءُ الخُــلدِ وأمــرَدُهُ
وتمــنَّت كــلُّ مقطِّعــةٍ — يدَهــا لــو تُــبعَثُ تشــهدُهُ

جَحَدَتْ عَيناكَ زَكىَّ دَمى   أكذلكَ خَدُّكَ أشهدُهُ
قد عزَّ شُهودىَ إذ رَمَتا   فأشرتُ لخدِّكَ أُشهِدُهُ
وهَمَمْتُ بجيدِكَ أشرَكُهُ   فأبى واستكبَرَ أصيدُهُ
وهزَزتُ قَوامَكَ أعطِفُهُ   فنَبا وتمنَّعَ أملدُهُ
سَبَبٌ لرضاكَ أُمَهِّدُهُ   ما بالُ الخَصرِ يُعقِّدُهُ
بَينى فى الحبِّ وبينَكَ ما   لا يَقدرُ واشٍ يُفسِدُهُ
ما بالُ العاذلِ يَفتحُ لى   بابَ السُّلوانِ وأُوصِدُهُ
ويقولُ تكادُ تجنُّ بهِ   فأقولُ وأُوشِكُ أعبدُهُ . . .
مولاىَ، ورُوحى فى يَدِهِ   قد ضَيَّعها سَلِمَتْ يَدُهُ
ناقوسُ القلبِ يَدقُّ لهُ   وحَنايا الأضلعِ مَعبدُهُ
حُسَّادىَ فيهِ أعذرُهم   وأحَقُّ بعذرىَ حُسَّدُهُ
قسماً بثنايا لؤلؤها   قَسَمَ الياقوتَ مُنضَّدُهُ
ورضابٍ يُوعَدُ كوثَرُهُ   مقتولُ العشقِ ومشهدُهُ
وبخالٍ كادَ يُحَجُّ لهُ   لو كانَ يُقبَّلُ أسودُهُ

وقَـــوامٍ يـــروى الغصـــنُ لـــهُ نَســـباً والـــرمحُ يُفـــنّدُهُ
وبخصـــرٍ أوهـــنَ مـــن جَـــلَدِي وعَـــوادي الهجـــرِ تـــبدّدُهُ
مـــا خـــنتُ هـــواكَ ولا خَطَـــرت ســـلوىً بالقـــلبِ تُـــبرّدُهُ

أبيات إسماعيل صبرى

أقــريبٌ مــن دنــف غــدهُ ... فالــلّيل تمــرّد أســودهُ
وألــتفتُ تحــت عجاجــته ... بيــضٌ فــى الحــى تؤيــدهُ
حــربٌ عــندى لمســعرها ... شــوق مــا زلــتُ أردده
هــل مــن راق لصــريع هــوى؟ ... هــل مــن آس يــتعهده؟
حــتى مَ يُســاورهُ كمــدٌ ... يُبــلى الأحشــاءَ تجــدده
والى مَ يُصــارعهُ ألمٌ ... إن هــمّ يقــومُ ويُقعــدهُ
فــى القصــر غــزال تكــبرهُ ... غــزلانُ الــرّمل وتحســدهُ
صــفرت كفــى مــنهُ ومضــى ... وقــد أمــتلأت مــنّى يــدهُ
كــم صُــغت التــبرلهُ شــركا ... وقضــيتُ الــليل أنضــدهُ
وأشــاورُ شــوقى بــل أدبــى ... هــل أقصــرُ أم أتصــيّدهُ؟
مــولاى، أُعيــذك مــن ضــرمٍ ... لا يــرحمُ قلــبا موقــدهُ
أدرك بــحياتــك مــن رمــقى ... مــا بــات هــواك يُبــددهُ
قــد بــان الحــبُّ لــذى عيــنين وهــذا الشّــوق يؤكــدهُ
"شــوقى" جــوّد فــى الشعــر وقــل ... آمــنتُ بــأنّك أوحــدهُ

أبيات ولي الدين يكن

الحسنُ مكانك معبدُهُ والـلحظُ فؤادىَ مَغمَدُهُ
يا سيّدتى، هذا حُرٌّ لم يُعرفْ قبلك سيّدُهُ
الليلُ، وطيفك يعرفهُ إن كان فؤادُك يجحدُهُ
كم يوحى طرفك لى غزلاً وأنا فى شعرىَ أنشدُهُ
وتُساجلنى الأطيارُ هوىً فى الدَّوحِ أبيتُ أرُدِّدُهُ
للصبح سناؤك أبيضُهُ لليل غرامى أسودُهُ
أحببتُ قلاك فمطلقُهُ عندى عذبٌ ومُقيّدُهُ
إن ضل حنانك عن قلبى فأنا بولوعىَ أرشدُهُ
قد بات دلالك يخذلُهُ وجمالك كان يؤيّدُهُ
زيدى تيهاً أزدَدْ كلفاً كلفى إن رثَّ أجدِّدُهُ
"شوقى" إن بنت يضاعفهُ "صبرى" إن جرت يؤكدُهُ
خلاّن هُما شمسا فلكٍ طرفى مع طرفك يرصدُهُ
فَصِلى بالله ولو حُلُماً "مضناك جفاهُ مرقدُهُ"
وعِديه اليومَ ولو كذباً الصبُّ بما طلَّه غدُهُ

أبيات الأمير نسيب أرسلان

مُضناكَ عصاهُ تجلّدُهُ　　هل أنتَ بعطفك مُنجدُهُ؟
منهوكُ الجسم به كمَدٌ　　أحناءُ الأضلعِ موقدُهُ
ترجيعُ الوُرْقِ يُهيّجُهُ　　ووميضُ البرق يسهّدُهُ
ولهُ نفسٌ، لو ما خفقت　　أحشاءُهُ، لعزَّ تردُّدُهُ
إن تهجرْهُ فعزاءكَ في　　دنف يتهامسُ عُوّدُهُ
لا يسري طيفُكَ في غلَسٍ　　قد زوّرَ نورَكَ فرقدُهُ
ما حالُ فؤاديَ في شغفٍ　　يستبكي الصخرَ توجُّدُهُ
أفدي مولايَ فكلُّ فتًى　　يُشقيهِ الحبُّ ويُسعدُهُ
كم فزتُ بمرأى طلعتِهِ　　فوزاً يستقطعُ حُسَّدُهُ
وسكرتُ براحِ شمائلِهِ　　سكراً ما فاهَ مُغرّدُهُ
غُصُنٌ أغرتني رقّتُهُ　　أتُرى شكوايَ تُؤوّدُهُ
والشعرُ صداحٌ في وَلَهٍ　　يهوى الأغصانَ مغرّدُهُ

بين حافظ وعمون

أرسل حافظ بك إبراهيم فى سنة ١٩٠٢ إلى صديقه داود بك عمون المصطاف يومئذ فى جبل لبنان القصيدة التالية، قال:

شَجتنا مطالعُ أقمارها ... فسالت نُفوسٌ لتذكارها
وبتنا نحنُّ لتلكَ القُصورِ ... وأهلِ القصورِ وزُوّارِها
قُصورٌ كأنَّ بُروجَ السماءِ ... خدورُ الغوانى بأدوارِها
ذكرنا حماها، وبين الضلوعِ ... قلوبٌ تلظّى على نارِها
فمرَّت بأرواحنا هزَّةٌ ... هىَ الكهرباءُ بتيّارِها
وأرض كسَتها كرامُ الشُّهورِ ... حرائرَ من نَسْجِ آذارِها
إذا نقَّطتها أكُفُّ الغمامِ ... أرتكَ الدرارى بأزهارِها
وإنْ طالعَتها ذُكاءُ الصباحِ ... أرتكَ اللجين بأنهارِها
وإنْ دبَّ فيها نسيمُ الأصيلِ ... أتاكَ النسيمُ بأخبارِها

***

وَنخلٌ أقامَ بأرضِ الشآمِ ... فباتت تُدِلُّ على جارِها

وأضحت تَتيهُ بربّ القريض كتيه البوادى بأشعارها
ولَلنيلُ أولى بذاك الدَّلال ومصرُ أَحقُّ بشَّارها
فشَمِّرْ وعَجِّل إليها المآبَ وخَلِّ الشآمَ لأقدارها
فكيفَ لعَمرى أطقتَ المقامَ بأرضٍ تَضيقُ بأحرارها
وأنتَ المشمِّرُ إثرَ المظا لمِ تَسعى إلى مَحوِ آثارها
ثأرتَ الليالى وأقعدْتَها بمصقول عَزمِك عن ثارها
إذا ثُرتَ ماجت هضابُ الشآم وباتتْ تَرامى بثُوّارها
ألستَ فتاها ومُختارَها وشبلَ فتاها ومختارها؟
إذا قُلتَ أصغتْ مُلوكُ الكلام ومالت إليكَ بأبصارها
أداوُد، حَسبُكَ أنَّ المعالىَ تحسَبُ دارَك فى دارها
وأَنَّ ضمائرَ هذا الوجود تَبوحُ إليكَ بأسرارها
وأَنك إمَّا حَلَلتَ الشآمَ رأيناك جذوةَ أفكارها
وإن كنتَ فى مصر نَعمَ النصيرُ إذا ما أهابت بأنصارها

من عمون إلى حافظ

فأجابهُ داود عمُّون:

أمِـنْ ذكـرِ سَـلمى وتذكارِهـا | نـثرتَ الدُّمـوعَ عـلى دارِهـا
وعفـتَ القصـورَ لأجـلِ الطلولِ | تطـالعُ طـامسَ آثارِهـا
وقفـتُ بهـا ليلـتي ناشـداً | عسـاها تـبوحُ بأسـرارِها
ولـلدارِ أنطـقُ آياتِهـا | مـن الـراويات وأخـبارِها
تعيـدُ عـليكَ ليـالي الحمى | بأنجمِهـا وبأقمارِهـا
سـلامٌ عـليكَ زمـانَ الشـباب | ربيـعَ الحيـاةِ بآذارِهـا
لأنـتَ مخفـفُ أحـزانِها | وأنـتَ مسـوّغُ أكدارِهـا
ولـولا الشـبابُ وذكـرى الشـباب | لعـاشَ الفـتى عُمـرَهُ كارِهـا
قطفـنا الحيـاةَ بـهِ حلـوةً | وقـد جـاءَ إبّـانُ إمرارِهـا

أطـوفُ فـي الشـرقِ عَـلّي أرى | بـلاداً تطيـبُ لأحـرارِها
فـلم أرَ إلا أمـوراً تسـوءُ | وتصـدعُ أكبادَ نُظّارِهـا

فظلمٌ بتلكَ، وذلّ بهذى، وجهلٌ نغشّ لأبصارها
تعوقُ مراحمَ رُعيانها وترعى الولاءَ لجزّارها
إذا شاءَ "قاسمُ" رفعَ الحجاب تُسمّيه هاتكَ أستارها
فلا قولَ إلا لجهّالها ولا أرىَ إلا لأغرارها
يَدبُّ التراخى على تربها ويَجرى الخمولُ بأنهارها
منالُ الترقى بإرغامها ومَرجى الفلاح بإجبارها
أهذا الذى أورثتْ أهلها بلادُ العلومِ وأنوارها ؟

غدمتْ حياتى إذا لم أقفْ حيانى على نفعِ أقطارها
"أحافظُ" هذا مجالُ العلى فشمّرْ لسبقٍ بمضمارها
"أشوقى، أحافظُ" طالَ السكوتُ وتركُ الأمورِ لأقدارها
فصُوغا القوافىَ مصقولةً وشقّا الجلودَ ببتّارها
عساها تحرّكُ أوطاننا وتنشرُ ميتَ أفكارها
أقولُ، وأعلمُ أنى سأرمى بأنى محرّكُ ثوّارها
وأنى الدخيلُ، وأنى الغريبُ، وأنى النصيرُ لقهّارها :
ولستُ بأوّلِ ذى همّةٍ تصدّى الزمانُ لإنكارها

فهرس

مختارات
من الشعر المعاصر

.. وهذه سلسلة جديدة من إصدارات دار قباء للطباعة والنشر .. تهديها للقارئ العربى مع حلول الألفية الثالثة وفى القرن الحادى والعشرين .. ليتواصل الأبناء مع جيل آبائهم من خلال مختارات شعرية لأشهر شعراء القرن.. مصحوبة بدراسة نقدية وتحليلية .. تتيح للقارئ التعايش مع النصوص المختارة .. والتى حرصنا على تقديمها فى شكل فنى جذاب .

صدر فى هذه السلسلة

- المختارات الشعرية ..وقضايا الوطن العربى (البارودى، شوقى، حافظ ...) .
- الهمشرى .. شاعر القرية المهجورة .
- نزار قبانى .. رئيس جمهورية الشعراء
- نزار قبانى .. والمواقف العربية
- نزار قبانى .. ومشكلات الإبداع الفنى
- نزار قبانى .. والتجربة الشعرية
- نزار قبانى .. الشعر والغناء
- نزار قبانى .. ومشكلة الحب
- نزار قبانى .. الشعر السياسى .. وقصائد خارجة على القانون
- عبد العزيز شرف .. ونبع الحب .

أحمد غريب